مجموع رسائل ومسائل

للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية

(٦٩١ - ٧٥١ هـ)

تحقيق

محمد عزير شمس

عبد الله بن علي السليمان آل غيهب

دار الخزانة

دار العمرية للنشر والتوزيع

مجموع رسائل ومسائل

للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية

(٦٩١ - ٧٥١هـ)

دار الخزانة للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

هاتف دولة الكويت

0096555957103 - 0096590909211

هاتف المملكة العربية السعودية

0096656200733 - 00966568480019

dar.alkhezanah@gmail.com

dar.alkhezanah

dar_alkhezanah

dar_alkhezanah

0096567606033

مكتبة دار الخزانة
للنشر والتوزيع
الكويت

دولة الكويت - حولّي
شارع المثنى - مجمع البدري
وحدة رقم 5
هاتف: 0096567606033

مجموع رسائل ومسائل

للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية

(٦٩١ - ٧٥١ هـ)

تحقيق

محمد عزير شمس

عبد الله بن علي السليمان آل غيهب

دار الخزانة

دار العمرية للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **أما بعد:**

فمن توفيق الله تعالى أن يسر لنا أن نضرب بسهم في إحياء تراث علماء الأمة ومن جملتهم الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى، وذلك من خلال جمع وإخراج هذه الرسائل القيمة التي لم يطبع أكثرها من قبل في مجموع مبارك، تتميمًا للجهود السابقة في نشر كتب ورسائل الإمام رحمه الله.

وقد تولى تحقيق القسم الأول من هذه الرسائل فضيلة الشيخ الأستاذ محمد عزير شمس.

وتولى تحقيق القسم الثاني منها فضيلة الشيخ عبد الله بن علي السليمان آل غيهب.

وهما معروفان بالاشتغال في تحقيق التراث ومن المبرزين في هذا الباب ولا سيما في تراث شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وابن قيم الجوزية رحمه الله.

وهذا المجموع يحتوي على قسمين:

* **القسم الأول:**

- تفسير سورة التكاثر.
- حكم إغمام هلال رمضان.
- فتوى في كتب أبي الحسن البكري.
- فوائد من كتاب أرسله إلى أصحابه من الحجاز.

* **القسم الثاني:**

- فصل في تأمل ما في قصة الأحزاب من الحكم والعبر.
- فصل في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية.
- مسألة هل الحدود كفارات لأهلها؟ ومن خرج حاجًّا ثم مات في الطريق هل يسقط فرضه؟
- مسألة في كرامات الأولياء، هل هي ثابتة بالشرع أم لا؟
- مسائل متفرقة.

هذا والله نسأل أن يوفقنا لنشر تراث سلفنا الصالح وأن يستعملنا في طاعته، والحمد لله ربّ العالمين.

القسم الأول

١ ـ تفسير سورة التكاثر.

٢ ـ حكم إغمام هلال رمضان.

٣ ـ فتوى في كتب أبي الحسن البكري.

٤ ـ فوائد من كتابٍ أرسله إلى أصحابه من الحجاز.

تَأليفُ

لِلإمَامِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَيُّوبَ ابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ

(٦٩١ ـ ٧٥١ هـ)

تَحْقِيقُ

مُحَمَّد عُزَيْر شَمْس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فهذه رسائل صغيرة للإمام ابن القيم رحمه الله لم تُنشَر ضمن السلسلة التي صدرتْ من مؤلفاته عن دار عالم الفوائد بمكة المكرمة، وقد كنت عثرتُ عليها ضمن بعض المجاميع قبل ثلاثة وعشرين عامًا عند إعداد «مؤلفات الإمام ابن قيم الجوزية (نسخها الخطية وطبعاتها)» بتكليفٍ من الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله. وكنت نسختُها قديمًا بخطي وأعطيتُها الشيخ بكرًا وبعض الإخوة، وتداولوها فيما بينهم، وأحببتُ الآن أن أنشرها ليُستفاد منها. وفيما يلي التعريفُ بهذه الرسائل ووصف نسخها الخطية.

(١) تفسير سورة التكاثر:

توجد نسخته الخطية ضمن «الكواكب الدراري» لابن عروة (ج٦، الورقة ١٣٢أ ـ ١٣٣ب) مخطوطة دار الكتب المصرية [٦٤٥ تفسير]. وقد طبع قسمٌ من أوله في كتاب «الفوائد» للمؤلف (ص٤٣ ـ ٤٤) ط. دار عالم الفوائد بمكة المكرمة سنة ١٤٢٩. وهذا مما يؤكِّد صحة نسبته إلى ابن القيّم، وإن لم يُذكَر بصفةٍ مستقلة ضمن مؤلفاته في مصادر ترجمته. وقد تكلم المؤلف على سورة التكاثر في «عدة الصابرين»

أيضًا (ص٣٥٣ ـ ٣٧١) ط. دار عالم الفوائد سنة ١٤٢٩. وهو غير ما ننشره هاهنا.

(٢) حكم إغمام هلال رمضان:

ورد ذكره في «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب (٢/ ٤٥٠). ومخطوطته في دار الكتب الظاهرية بدمشق [٢٧٥٨] (الورقة ٧ب ـ ١٢أ، بدون تاريخ) بلا عنوانٍ وغُفلًا من اسم المؤلف. وفي فهرس دار الكتب الظاهرية «المجاميع» (٢/ ١٠٨) نُسِب إلى ابن قدامة، ولا يصح ذلك لأن المؤلف ينقل عن النووي (ت٦٧٦)، وهو متأخر عن ابن قدامة. ثم إن قطعة من آخره مأخوذة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢٥/ ١٠٠ ـ ١٠٣) بشيء من التصرُّف، وهذه طريقة ابن القيم في الاستفادة من كلام شيخه دون الإشارة إليه في مواضع كثيرة من كتبه، كما يظهر ذلك لكلّ من قرأها بعناية. وقد تكلَّم ابن القيم عن هذا الموضوع في «زاد المعاد» (٢/ ٤٧ ـ ٦٣) و«تهذيب السنن» (٣/ ٢٢١ ـ ٢٢٢) [طبعة الفقي] أيضًا.

وللحنابلة والشافعية مؤلفات عديدة في هذا الموضوع. فقد ألف فيه كلٌّ من القاضي أبي يعلى (ت٤٥٨) والخطيب البغدادي (ت٤٦٣)، واختصرهما النووي في «المجموع» (٦/ ٤٠٨ ـ ٤٣٥). ولابن الجوزي (ت٥٩٧) كتاب «درء اللَّوم والضَّيم في صوم يوم الغيم» ردَّ فيه على الخطيب، ولابن عبد الهادي (ت٧٤٤) «إقامة البرهان على عدم وجوب صوم يوم الثلاثين من شعبان»، ولمرعي بن يوسف الكَرْمي (ت١٠٣٣) «تحقيق الرجحان بصوم يوم الشك من رمضان»، وكلُّها مطبوعة.

(٣) فتوى في كتب أبي الحسن البكري:

توجد هذه الفتوى ضمن «الكواكب الدراري» (مخطوطة الظاهرية). وقد نُشِر كلام شيخ الإسلام عنها في «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٣٥١ ـ ٣٥٤). وأبو الحسن أحمد بن عبد الله بن محمد البكري، قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (١/ ١١٢): ذاك الكذَّاب الدجّال واضع القصص التي لم تكن قطُّ، فما أجهلَه وأقلَّ حياءً! ما روى حرفًا من العلم بسندٍ. ويُقرأ له في سوق الكتبيين كتاب ضياء الأنوار، ورأس الغول، وسرّ الدهر، وكتاب كُلُنْدُجَة، وحِصْن الدولاب، وكتاب الحصون السبعة وصاحبها هضام بن الجحّاف، وحروب الإمام علي معه، وغير ذلك.

وقال ابن حجر في «لسان الميزان» (١/ ٥٠٩) بعد نقل كلام الذهبي السابق: ومن مشاهير كتبه «الذِّروة في السيرة النبوية»، ما ساق غزوةً منها على وجهها، بل كل ما يذكره لا يخلو من بطلانه إمّا أصلًا وإما زيادةً.

وقال الذهبي في «المغني في الضعفاء» (١/ ٤٥): صاحب القصص، لا يُوثق بنقله، وهو مجهول الحال ذا تقلب يشهد بأن كذاب، لإتيانه بتلك البلايا الواضحة التي لا تروج على صغار الطلبة.

ولم يُذكَر زمنُ وجوده، وجعل الزركلي في «الأعلام» (١/ ١٥٥، ١٥٦) وفاته نحو ٢٥٠؟ نقلًا عن شارح «مجاني الأدب». وذكر الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٣٦) أنه طُرقيٌّ مفترٍ، لا يستحيي من كثرة الكذب الذي شَحن به مجاميعه وتواليفه، وهو أكذبُ من مسيلمة. وقال: «أظنُّه كان في هذا العصر». وقبله ترجمة مَن توفي سنة ٤٨٧.

ويُضرَبُ به المثل في الكذب، ويُعتبر فردَ زمانه في هذا الباب، كما في «الغيث المسجم» للصفدي (١/ ١٩٣) و«تاريخ الخلفاء» للسيوطي (ص٩٦) وغيرهما. وقد وصلت إلينا مجموعة من مؤلفاته طُبع بعضها وأخرى لا تزال مخطوطة، انظر بيانها في «تاريخ الأدب العربي» لبروكلمان (٦/ ٢٢١ ـ ٢٢٣)، و«معجم المطبوعات العربية والمعربة» لسركيس (٢/ ٥٧٨).

وذكر ابن القيم في فتواه مؤلفات البكري وغيره من الكذّابين، وعدَّدها وبيَّن حقيقة أمرها، ومنع من الاعتماد عليها وقراءتها، ودعا إلى الاهتمام بقراءة كتب السنة المشهورة والاعتناء بها ومطالعتها.

(٤) فوائد من كلام ابن القيم من كتابٍ أرسله إلى أصحابه من الحجاز:

توجد نسخته الخطية في مكتبة المسجد الأقصى برقم [٣٩/١٢٠] (الورقة ١٤٠أ ـ ب)، وهي بخط محمد بن عبد الله بن أحمد الهكّاري الشافعي قاضي الصَّلْت (ت٧٨٦). وقد توفي بحمص ولم يبلغ الخمسين. وهو الذي اختصر «درء تعارض العقل والنقل» في مجلدين، وصل إلينا أولهما. ترجمته في «الدرر الكامنة» (٣/ ٤٦٦) و«الأنس الجليل» (٢/ ١٢٦) و«الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٣٦).

وقد بعثَ مصوَّرتَها إليَّ الأخ البحَّاثة يوسف الأوزبكي، فجزاه الله عن العلم وأهله خير الجزاء. ولما تأمّلتُ فيها وجدتُ أنها مقتطفات من كلام ابن القيم، ويؤكِّد صحة نسبتها إليه أن الفقرتين الأخيرتين منها مأخوذتان من «الرسالة التبوكية» له (ص٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤) ط. دار عالم الفوائد.

وفي الختام أحمد الله تعالى على توفيقه لإخراج هذه الرسائل إلى النور، وأرجو أن تكون نافعةً للقراء بإذن الله. وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

محمد عزير شمس

بمكة المكرمة في ٢٠/١٠/١٤٤٢

تفسير سورة التكاثر

فصل

قال الشيخ الإمام العالم العلّامة بحر العلوم أبو عبد الله شمس الدين ابن القيم في قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ①﴾ إلى آخرها:

أُخلِصَتْ هذه السورة للوعيد والتهديد، وكفى بها موعظةً لمن عقلَها، **فقوله** تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾ أي شَغَلكم على وجهٍ لا تُعذَرون فيه، فإن الإلهاء عن الشيء هو الإشغال عنه، فإن كان بقصدٍ فهو محلُّ التكليف، وإن كان بغير قصدٍ ـ كقوله ﷺ في الخميصة: «**إنها أَلْهَتْني آنفًا عن صلاتي**»[(١)] ـ كان صاحبُه معذورًا، وهو نوعٌ من النسيان. وفي الحديث: «**فلَهِيَ رسول الله ﷺ عن الصبيّ**»[(٢)] أي: ذَهَل عنه، ويقال: لَهَا بالشيء أي اشتغل به، ولَهِيَ عنه إذا انصرف عنه. واللهو للقلب، واللعب للجوارح، ولهذا يُجمَع بينهما. ولهذا كان **قوله**: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ①﴾ أبلغَ في الذمّ من «شَغَلكم»، فإن العامل قد يَستعمل جوارِحَها يعملُ وقلبُه غيرُ لاهٍ به، فاللهو هو ذهولٌ وإعراض.

والتكاثر تفاعلٌ من الكثرة، أي مكاثرةُ بعضكم لبعض، وأعرض عن ذكر المتكاثَر به إرادةً لإطلاقِه وعمومِه، وأن كلّ ما يُكاثِر به العبد

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٣) ومسلم (٥٥٦/ ٦٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٩١) ومسلم (٢١٤٩) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.
قال ابن التين: رُوِي «لَهِي» بوزن عَلِم، وهي اللغة المشهورة، وبالفتح لغة طيئ. انظر: «فتح الباري» (١٠/ ٥٧٦).

غيرَه ـ سوى طاعةِ الله ورسولِه وما يعود عليه بنفع معادِه ـ فهو داخلٌ في هذا التكاثر. والتكاثر في كل شيء من مالٍ أو جاهٍ أو رئاسةٍ أو نسوةٍ أو حديثٍ أو علمٍ ولا سيَّما إذا لم يحتَجْ إليه، والتكاثر في الكتب والتصانيف وكثرة المسائل وتفريعها وتوليدها، والتكاثر أن يطلب الرجلُ أن يكون أكثر من غيرِه، وهذا مذمومٌ إلّا فيما يُقرِّب إلى الله تعالى، فالتكاثر فيه منافسةٌ في الخيرات ومسابقةٌ إليها.

وفي «صحيح مسلم»[1] من حديث عبد الله بن الشِّخِّير أنه انتهى إلى النبي ﷺ وهو يقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾، قال: «**يقول ابنُ آدم: مالي مالي، وهل لك من مالِك إلّا ما تصدَّقتَ فأمضيتَ، أو أكلتَ فأفنيتَ، أو لبِستَ فأبليتَ**».

وسبب هذا التكاثر فراغ القلب من الله والدار الآخرة، ومتى كان مملوءًا من الله والدار الآخرة شغَلَه ذلك عن طلب التكاثر، ومتى خلا من ذلك ألهاه التكاثر ولابدَّ. فهما خُطَّتانِ لا بدَّ للقلب من إحداهما، فمن لم يكاثر فيما ينفعه عند الله ويُقرِّبه منه كاثَر بما يَضرُّه ولا ينفعه ولابدَّ. والعبد يَحرِص أن يكون كاثرًا في عمل البرّ، ولا يضرُّه أن يكون مكثورًا في الدنيا وأسبابها ورئاستها، فكلُّ كاثرٍ في طرفٍ مكثورٌ في ضدِّه، فكن كاثرًا فيما يبقى وإن كنتَ مكثورًا فيما يفنَى، فالعزةُ للكاثرِ فيما هنالك، فالمكثِرون هنا من الدنيا هم المقِلُّون هناك.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ بيانٌ لاستمرارِ إلهاءِ التكاثرِ لهم مدةَ الحياة، وأنهم لم يستيقظوا من رَقْدةِ الإلهاءِ إلّا في عسكرِ الموتَى. وعدلَ عن قوله: «حتى متُّم» ـ وهي أخصر ـ إلى **قوله**: ﴿ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾

---

(١) رقم (٢٩٥٨).

إيذانًا بأن القوم غيرُ مستقرين فيها ولا مستوطنين، بل هم فيها كالضيفِ الزائر لغيره ثم يرتحلُ عنه.

وسمع بعضُ الأعراب قارئًا يقرأ هذه السورة فقال: بُعِثَ القومُ وربِّ الكعبة! فقيل له: من أين علمتَ ذلك؟ فقال: جعلهم في القبور زُوَّارًا ولم يجعلهم مُستَوطنين(١).

فإن قيل: الزائر هو الذي يَقصِد المجيء إلى محلِّ الزيارة، ونحن إنما نُنْقَل إلى هناك كَرْهًا لا اختيارًا، فأين هذا من الزيارة؟

قيل: لما كان هذا أمرًا لابدَّ منه، والعبدُ يعلم أنه صائرٌ إليه ولا بدَّ، أطلق على السائر إلى تلك المحلة اسم الزيارة، وحَسَّنَ هذا الإطلاقَ قِصَرُ بقائِه هناك، وأنه مرتحلٌ ولا بدَّ إلى دار البقاءِ. وقد تُطلَق الزيارة على من وافَى إلى المزُوْر وإن لم يقصده، كما يقال: زَارَني طَيْفُه، وزارني خيالُه، وقد يقال: زارتْه الحمَّى، وزارتْه البليَّةُ وطَرَقَتْه. قال(٢):

وزَائرتي كأنَّ بها حَياءً فليسَ تَزورُ إلّا في الظَّلام
بَذلتُ لها المطارِفَ والحشَايَا فعَافَتْها وباتَتْ في عِظَامِي

على أن في قوله: ﴿زُرۡتُمُ﴾ فائدة لطيفة، وهي أن مدة لُبثهم في القبور أكثر من مدة لُبثهم في الدنيا، فإذا كانوا في هذه المدة المتطاولة إنما هم في حكم الزُّوَّار غيرِ المستوطنين، فهم في الدنيا أولى أن يكونوا زائرين غير مستوطنين، فما للزائر والتكاثر في محلّ الزيارة بما

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (١٦/ ٣٥٩)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥٠٧)، و«تفسير ابن كثير» (٧/ ٦٤٢) ط. دار ابن الجوزي.

(٢) المتنبي في «ديوانه» (٤/ ٢٧٦) بشرح البرقوقي، يصف حمَّى الرِّبْع.

هو تاركُه وذاهبٌ عنه؟! ولما كان الزائر لا بدَّ أن يرجع إلى مسكنِه الذي هو وطنه، والدنيا مَعْبَرٌ وطريقٌ إلى محلِّ زيارته، والآخرة دار القرار، فهاهنا ثلاثة دُوْرٍ: دار سَيْرٍ وارتحالٍ، ودار زيارةٍ، ودار قرارٍ، كما قال الناصح: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾ [غافر].

وقوله سبحانه: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾، في لفظة ﴿كَلَّا﴾ معنى النفي ومعنى النهي، أي لا يَحسُن منكم ولا ينبغي لكم أن يُلهِيَكم التكاثُر، ولا تَلْتَهُوا به. وحُذِف مفعولُ العلم تفخيمًا لشأنِه وإبهامًا له وقصدًا للتفهُّم، أي تعلمون حقيقةَ ما أخبرتْكم به الرسلُ وإن كنتم في غرورٍ من هذا الإلهاءِ، ولهذا أتى بـ﴿ثُمَّ﴾ لتراخي ما بينَ المنزلتين شأنًا وزمانًا. وفي ذلك إشارةٌ إلى أنهم كانوا قبل ذلك في غَمرةٍ من الجهالة، ولا يعلمون ما في البرزخ ودارِ القرار من السعادة والبقاء والنعيم واللذة، وأما أهل الغفلة عن ذلك فكانوا في سَكْرة الجهل والغفلة، وأما من آمن بذلك وصدَّق به فإذا عاينَه وشاهدَه كان عِلْمُه به أولًا بالإضافة إلى العِيان كأنه جهلٌ، وكأنه لم يكن عالمًا به، ولا سيَّما إذا لم يُصدِّق عملُه علْمَه، فهو والجهلُ أخوانِ، فعِلمٌ لا ينفع صاحبَه كمالٍ لا ينتفعُ به صاحبُه.

وقوله سبحانه: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ فيه مبالغة في التهديد من وجوهٍ:

أحدها: ما في ﴿كَلَّا﴾ من الرَّدْع والزجر.

الثاني: ما في هذه الجملة من مفهوم الوعيد عُرفًا ولغةً، كقوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾ [ص] ونظائره.

الثالث: من حذف مفعول العلم إبهامًا له وتعظيمًا.

الرابع: تنزيلهم في الحال منزلةَ من لا علمَ له بالأمر الموعود به، لعِظَمِه في نفسه وأنه أكبر من أن يُدرِكه قبلَ العِيان.

الخامس: ما في تكرار هذه الجملة من المبالغة والتقرير. قال الحسن ومقاتل: هو وعيد بعد وعيد(١).

وفيه قولان(٢):

أحدهما: أنه للتأكيد.

والثاني: أنه على حالتين، إحداهما بعد الموت، والثانية يومَ البعث.

ونظير هذا قوله: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ [النبأ].

وقوله: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥﴾ محذوفٌ جوابُه(٣)، أي لو تعلمون يقينَ(٤) العلم لما ألهاكم التكاثر، ولما غَفَلْتم عن الآخرة واشتغلتم بالدنيا. وهذا يدلُّ على ضعف يقينِ مَن آثَر الدنيا على الآخرة واشتغل بها عنها، وأنه لو أفضَى إلى علم اليقين لآثَر الآخرة، فإن المانع من طلبِ الحظِّ الأعلى وإيثارِه إما أن يكون عدمَ الثقةِ بحصولِه، وإما أن يكون لاشتغال القلب بضدِّه، وذلك أيضًا من ضعف يقينِه، وإلّا فمعَ كمالِ اليقين بالأعلى ليس في النفس إيثارُ الأدنَى عليه والرضا

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٦٤٢)، و«الدر المنثور» (١٥/ ٦٢١).

(٢) كما في «المحرر الوجيز» (١٦/ ٣٥٩).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٥١٧)، وفيه: وحذفُ جواب «لو» كثير في القرآن تعظيمًا له وتفخيمًا.

(٤) في الأصل: «يعني» سهوًا.

به إيثارًا مستمرًّا وإن كان يَعرِض في الأحيان، ولكن استمرارَ إيثارِ الأدنى مع اليقين ممتنع، فما تخلَّفَ العبدُ عن الإجابة إلّا من ضعفِ إيمانِه ويقينه، ولا ريبَ أن إجابةَ من في قلبه أدنَى مثقالِ دينارٍ من إيمان فما دون[1] أضعفُ من إجابةِ مَن إيمانُه أكبر من ذلك، فتتفاوتُ الإجابةُ بحسب تفاوُتِ أهل الإيمان.

وهذا كما أن الإجابة تتفاوتُ بحسب تفاوُتِ المحبة والإرادة، فليست إجابة مَن محبتُه ضعيفة كإجابة من امتلأ قلبُه بمحبة الداعي، فالأعمال تتفاوت بتفاوت ما في القلوب من الطلب والمعرفة بقدر المطلوب. ولا تُصْغِ إلى من غَلُظَ حجابُه وكَثُفَ طبعُه، فقال: إن المعرفة والتصديق والعلم والعقل لا يتفاوت، وأظنُّه لو قيل له: طَرْدُ قولِك أن المحبة والبغض والكراهة لا تتفاوت، لقال: أقول به، وهانت عليه المكابرةُ. وقولُ من يعلم ما في القلوب فيما حكاه عنه رسولُه: **«أَخرِجُوا من النار مَن في قلبه مثقالُ دينارٍ من إيمانٍ، أَخرِجُوا من في قلبه مثقالُ نصفِ دينارٍ»** إلى أن قال: **«أَخرِجُوا مَن في قلبه أدنى أدنى مثقالِ دينارٍ من إيمانٍ»**[2] = أصحُّ من قول هؤلاء وأصدقُ.

فصل

واليقين هو العلم الثابت الراسخ في القلب، قال في «الصحاح»[3]: اليقين: العلم وزوالُ الشكّ، يقال منه: يَقِنْتُ الأمرَ ـ

---

(١) كذا في الأصل، والأولى: «دونه».

(٢) أخرجه بنحوه عبد الرزاق (١١/ ٤١٠) ومن طريقه أحمد (١١٨٩٨) والنسائي (٨/ ١١٣) وابن ماجه (٦٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وإسناده صحيح.

(٣) (٦/ ٢٢١٩).

بالكسر - يَقنًا، وأيقنتُ واستيقنتُ وتيقَّنتُ، كلُّه بمعنًى، وأنا على يقينٍ منه. انتهى.

وضدُّ اليقين الرَّيب، وهو القلق والاضطراب.

ولليقين مراتبُ بعضها فوقَ بعضٍ، فهو متفاوتٌ في نفسه، فعينُ اليقين فوقَ مجرد اليقين، وحق اليقين فوقَ عين اليقين، فالمؤمنون يُوقِنون بالنار في الدنيا إيمانًا، فإذا شاهدوها يوم القيامة صارَ ذلك اليقين عِيانًا. وحقُّ اليقين هو العلم الواقع ذوقًا ومباشرةً، وهو فوقَ مجرد الرؤية(١).

وقد مُثِّلَتِ المراتب الثلاث بالجنة، فإن إيمان المؤمنين بها في الدنيا يقينًا، فإذا أُزلِفَتْ لهم في الموقف وعاينوها صارَ الإيمانُ بها عينَ يقينٍ، فإذا دخلوها وتمتَّعوا بها صارَ ذلك حقَّ يقينٍ.

وقد سمَّى الله سبحانَه الموتَ يقينًا فقال: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر]، فهو الموت بإجماع أهل التفسير. قال الحسن: لم يجعل الله لعبدِه المؤمن أجلًا دون الموت(٢). وفي الحديث الصحيح(٣) عنه ﷺ لما مات عثمان بن مظعون قالت أمُّ السائب(٤): شهادتي عليك لقد أكرمكَ الله، فقال: **«وما يُدرِيكِ؟ أمَّا عثمانُ فقد جاءه اليقينُ من ربِّه، واللهِ ما أدرِي وأنا رسولُ اللهِ ما يُفعَلُ بي»**، وفي

(١) انظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في درجات اليقين في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٦٤٥ - ٦٥٢).

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٨) وأحمد في «الزهد» (ص٢٢١).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٤٣) من حديث أم العلاء الأنصارية.

(٤) الصواب أنها «أمُّ العلاء» كما عند البخاري.

لفظ: «به»[(١)]، [و]رجَّحه بعضهم، لأنه ﷺ يعلم أن الله سبحانه يُكرِمُه غايةَ الإكرام. ورجَّحتْ طائفةٌ رواية «بي» لموافقتها القرآنَ في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩].

وبالجملة فإذا ماتَ العبدُ عاينَ الملائكةَ، وعُرِضَ عليه مقعدُه من الجنة والنار بكرةً وعَشِيَّةً[(٢)]، فصار العلمُ في حقِّه يقينًا.

وقوله: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦﴾ ليس جوابًا لقوله: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥﴾، لفساد المعنى حينئذٍ، فإن «لو» إذا دخلتْ على مُثبتٍ صار منفيًّا، فيَؤُول المعنى إلى نفي علم اليقينِ ونفي رؤية الجحيم. وإنما هو قسمٌ مبتدأٌ ليس جوابًا للأول[(٣)].

وكرَّر الرؤيةَ ثانيًا، فهي غير الرؤية الأولى، فالأولى بعد الموت حين يُفتَح للعبد طاقةٌ إلى الجنة وطاقةٌ إلى النار، فيراهما معًا، كما صرَّح به في حديث ابن عمر والبراء بن عازب وأبي هريرة وغيرهم[(٤)].

---

(١) رواية الليث عن عُقيل: «ما يفعل بي»، ورواية نافع بن يزيد عن عُقيل: «ما يُفعل به»، وتابعه شعيب وعمرو بن دينار ومعمر، كما ذكر ذلك البخاري (١٢٤٣). وانظر: «فتح الباري» (٣/ ١١٥).

(٢) كما في حديث ابن عمر الذي أخرجه البخاري (١٣٧٩) ومسلم (٢٨٦٦).

(٣) بيَّن شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٥١٨ ـ ٥١٩) أنه جواب قسم محذوف، وليس جواب «لو»، وذكر وجوهًا تدلُّ على ذلك.

(٤) أما حديث ابن عمر فأخرجه البخاري (١٣٧٩) ومسلم (٢٨٦٦).
وأما حديث البراء بن عازب فأخرجه أحمد (١٨٦١٤، ١٨٥٣٤) والحاكم (١/ ٣٩) وغيرهما.
وأما حديث أبي هريرة فأخرجه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٦٢) وابن حبان (٥٠٥٨) والحاكم (١/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠) وغيرهم.
=

والرؤية الثانية يومَ القيامة، يراها الناسُ كلُّهم عيانًا، ويراها الجميع، ثمَّ يُنجِّي الله المتقين ويَذَرُ الظالمين فيها جِثِيًّا[(١)]، فتلك رؤيةُ عِيانٍ، وهي أكملُ من رؤيتها في البرزخ. وهذا الخطاب عامٌّ لكل أحد، فما من مؤمنٍ ولا كافرٍ إلّا يرى الجحيمَ في البرزخ ويراها يومَ القيامة.

وقوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾، النعيمُ كلمةٌ جامعةٌ لكلِّ ما يتنعَّمُ به الإنسان في الدنيا من مَأكلٍ ومَشْرَبٍ ومَلْبَسٍ ومَنْكَحٍ وراحةٍ ولذةٍ وكلّ نعمةٍ، فيقعُ السؤالُ عن شكره، والله سبحانَه يسألُ العبدَ يومَ القيامة عن مالِه وعلمِه وعملِه وعُمرِه وأهلِه وولدِه وما استرعاه عليه، قال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف: ٦]، وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٣﴾ [الحجر]، وقال: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٨]، وقال: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝٢٤﴾ [الصافات]، وقال: ﴿تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ۝٥٦﴾ [النحل].

وفي «السنن»[(٢)] من حديث أبي بَرْزَةَ الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تَزُولُ قَدَمَا عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسأَلَ عن أربعٍ: عن عُمْرِه فيما أفناه، وعن جسدِه فيما أبلاه، وعن علمِه فيما عَمِلَ فيه، وعن مالِه من أين اكتَسَبَه وفيما أنفقَه»**.

وفي «صحيح مسلم»[(٣)] من حديث أبي هريرة قال: خرج

= وفي الباب عن أنس، أخرجه البخاري (١٣٣٨) ومسلم (٢٨٧٠)، وعن أبي سعيد الخدري، أخرجه أحمد (١١٠٠٠) وغيره بإسناد لا بأس به.

(١) كما في سورة مريم: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢﴾.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤١٧) وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) رقم (٢٠٣٨).

رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ يوم، فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: «**ما أخرجَكما من بيوتكما هذه الساعةَ؟**»، قالا: الجوعُ يا رسول الله، قال: «**وأنا والذي نفسي بيدِه لَأَخرجَني الذي أخرجَكما، قُومُوا**»، فقاموا معه، فأتى رجلًا من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رأتْه المراةُ قالت: مرحبًا وأهلًا، فقال لها رسول الله ﷺ: «**وأينَ فلان؟**»، قالت: ذهبَ ليستعذِبَ لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري فنظرَ إلى رسولِ الله ﷺ وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله، ما أحدٌ اليومَ أكرمَ أضيافًا منِّي، قال: فانطلقَ فجاءَهم بعِذْقِ بُسْرٍ وتمرٍ ورُطَبٍ، فقال: كلوا من هذه، وأخذَ المُدْيةَ، فقال له رسولُ الله ﷺ: «**إيَّاكَ والحَلُوبةَ**»، فذَبَحَ لهم، فأكلوا من الشاةِ ومن ذلك العِذْقِ وشرِبوا، فلما أن شَبِعُوا ورَوُوْا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «**والذي نفسي بيده لتُسألُنَّ عن هذا النعيم يومَ القيامة، أخرجَكم من بيوتِكم الجوعُ، ثم لم تَرجِعوا حتى أصابكم هذا النعيم**».

وفي «سنن النسائي»(١) من حديث أبي هريرة أيضًا قال: قال النبي ﷺ: «**هذا والذي نفسي بيدِه النعيمُ الذي تُسأَلون عنه يومَ القيامة، هذا الظلّ البارد والرُّطَب البارد عليه الماء البارد**». وهذا مختصرٌ من الحديث الذي قبله.

وفي «جامع الترمذي»(٢) من حديث عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: لما نزلت: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ قال الزبير: يا رسول الله، أيُّ النَّعيم نُسأَل عنه؟ إنما هما الأسودانِ التمرُ والماءُ، قال: «**أَمَا إنه سيكون**». قال: هذا حديث حسن.

---

(١) «الكبرى» (١١٦٣٣).

(٢) رقم (٣٣٥٦).

وفيه(١) أيضًا من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة قال: لما نزلتْ هـذه الآيـةُ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ قال الناس: يا رسولَ اللهِ، عن أيِّ النعيمِ نُسأَل؟ وإنما هما الأسودانِ، والعدوُّ حاضرٌ، وسيوفُنا على عواتقِنا، قال: «إنَّ ذلك سيكون».

(١) رقم (٣٣٥٧). وقال: وحديث ابن عيينة عن محمد بن عمرو [يعني الحديث السابق] عندي أصح من هذا، سفيان بن عيينة أحفظ وأصح حديثًا من أبي بكر بن عياش.

حكم إغمام هلال رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلّا بالله

الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهدِهِ الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هاديَ له. وأشهد أن لا إلٰه إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله. أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهِره على الدِّين كلِّه ولو كره المشركون. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد، فقد سألتَنِيْ أيُّها الأخ ـ وفَّقك الله لمرضاته ـ أن أكتبَ لك ما يتعلق بأحكام غَمِّ(١) هلال شهر رمضان، وأبيِّنَ لك ما فيه من الخلاف، وما الذي يترجح في فعل ذلك اليوم: الصوم أم الفطر؟ على طريقة السلف الصالح، وهل صومُه واجبٌ أم لا؟ وهل هو يومُ شَكّ أم لا؟ فأَجبتُك إلى ذلك مستعينًا بالله متوكلًا(٢) عليه.

فأقول ـ وبالله التوفيق ـ:

قال العلماء ـ رحمهم الله ورضي عنهم ـ: أما صومُ يوم الغَمِّ إذا حال دون منظر الهلال غَيْمٌ أو قَتَرٌ، فكان في الصحابة من يَصُومُه

(١) مصدر غُمَّ الهلالُ: حال دونَ رؤيته غَيمٌ أو ضَباب.

(٢) في الأصل: «مستعين» و«متوكل» بالرفع.

احتياطًا، وكان فيهم من يفطره، ولم نعلم أن أحدًا منهم أوجبَ صومَه، بل الذين صاموه إنما صاموه على طريق التحرِّي والاحتياط. والآثار المنقولة عنهم صريحةٌ في ذلك، كما نُقِلَ عن عمر وعليٍّ وابن عمر وأبي هريرة وعمرو بن العاص وأنس ومعاوية وعائشة وأسماء ابنتَيْ أبي بكر[1]، رضي الله عنهم أجمعين.

ومنهم من كان لا يصومه، مثل كثير من الصحابة رضي الله عنهم، ومنهم من كان ينهى عنه، كعمَّار بن ياسرٍ وغيره[2].

والعلماء ـ رحمهم الله ـ متنازعون فيه على أقوالٍ:

منهم: من ينهى عن صومه نهيَ تحريمٍ أو تنزيهٍ، كما يقول ذلك من يقوله من أصحاب مالك والشافعي وأحمد ـ في إحدى الروايات عنه ـ، واختار ذلك طائفةٌ من أصحابه، كأبي الخطاب وأبي القاسم بن مندة الأصفهاني وغيرهما[3].

ومنهم: من يُوجبه، كما يقول طائفة من أصحاب أحمد، كاختيار الخِرَقي والقاضي وغيرهما. وهذا يقال إنه أشهر الروايات عن أحمد، لكن الثابت عن أحمد لمن عَرَفَ نصوصَه وألفاظَه: أنه كان يَستحِبُّ

---

(١) ذكر هذه الآثار الفضل بن زياد القطّان عن الإمام أحمد بن حنبل في «مسائله». ونقلها عنها ابن الجوزي في «درء اللوم والضَّيم في صوم يوم الغيم» (ص٥٢ ـ ٥٦)، وابن تيمية في «شرح العمدة» (٣/ ٦٦ ـ ٧١)، والمؤلف في «زاد المعاد» (٢/ ٥٢ ـ ٥٥)، وهناك التخريج. وانتقد هذه الروايات ابن عبد الهادي في «إقامة البرهان على عدم وجوب صوم الثلاثين من شعبان» (ص٣٨ ـ ٤١) وقال: لم يثبت وجوب ذلك عن أحدٍ من الصحابة.

(٢) انظر: «شرح العمدة» (٣/ ٧٢ ـ ٧٤).

(٣) في الأصل: «وغيره».

صيامَ يوم الغَيْم اتباعًا لعبد الله بن عمر وغيرِه من الصحابة، ولم يكن عبد الله بن عمر يُوجبه على الناس، بل كان يفعله احتياطًا(١).

ومنهم: من يُسوِّغُ فيه الأمرين بمنزلة الإمساك إذا غُمَّ مطلعُ الفجر، وهذا مذهب أبي حنيفة، وهو المنصوص عن أحمد، فإنه كان يصومه على طريق التحرِّي والاحتياط اتباعًا لابن عمر وغيره كما تقدم، لا على طريقِ الإيجاب، كسائرِ ما يُشَكُّ في وجوبه، فإنه يُستحبُّ فعلُه احتياطًا من غير وجوب.

وأما إيجابُ صومِه فلا أصلَ له في كلامِ أحمد، ولا كلامِ أحدٍ من [أصحابه، لكن كثيرٌ] من أصحابه اعتقدُوا أن مذهبه إيجابُ صَومِه، ونصروا ذلك. وإذا كان بمنزلة الإمساك يجوز صومُه ويجوز فطره، وهذا مذهب كثير من الصحابة والتابعين أو أكثرهم. وهذا كما أن الإمساك عند الحائل عن رؤية الفجر جائز، فإن شاء أمسك، وإن شاء أكلَ حتى يتيقَّنَ طلوعَ الفجر. وكذلك إذا شكَّ هل أحدثَ أم لا؟ إن شاء توضأ، وإن شاء لم يتوضأ(٢).

فأما دليلُ من كان ينهى عن صَومِه نَهْيَ تحريمٍ أو تنزيهٍ: ما رُوِيَ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**صُوموا لرؤيته، وأَفطِروا لرؤيته، فإن غُبِّي عليكم فأكملوا عدَّةَ شعبانَ ثلاثين يومًا**». رواه البخاري(٣).

---

(١) هذه الفقرة من كلام شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٢٥/ ٩٩).

(٢) هذه الفقرة أيضًا من كلام شيخه في «الفتاوى» (٢٥/ ٩٩، ١٠٠).

(٣) رقم (١٩٠٩). ورواه أيضًا مسلم (١٠٨١) وفيه: «غُمِّي». قال الحافظ في «الفتح» (٤/ ١٢٤): وقع في حديث أبي هريرة من طريق المستملي: «فإن غُمَّ»، ومن طريق الكشميهني: «أغمي»، ومن رواية السرخسي: «غبي». والكلُّ بمعنى.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**صُوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غُمَّ عليكم فاقْدُروا له ثلاثين**». رواه مسلم[(١)].

وقد صحّ أن النبي ﷺ نهى عن صومِ يومِ الشكّ. متفق عليه[(٢)]. وهذا يوم شكّ. ولأنّ الأصل بقاء شعبان، فلا يُنتَقَلُ عنه بالشك.

قال العلماء: والجواب عن خبر أبي هريرة الذي احتجوا به أنه[(٣)] يرويه محمد بن زياد، وقد خالفه سعيد بن المسيّب فرواه عن أبي هريرة: «**فإن غُمَّ عليكم فصوموا ثلاثين**».

قال الشيخ أبو محمد[(٤)] رحمه الله: وروايته أولى بالتقديم، لإمامته[(٥)] واشتهارِ ثقته وعدالته، وموافقتِه لرأي أبي هريرة ومذهبه، ولخبر ابن عمر الذي رويناه. وروايةُ ابن عمر: «**فاقْدُروا له ثلاثين**» مخالفةٌ للرواية الصحيحة المتفق عليها، ولمذهب ابن عمر ورأيه.

قال كاتبه: قلت: ويَحتمل أن تكون الرواية عن ابن عمر: «**فاقْدُروا له ثلاثين**» محمولة على حالِ الصَّحْو، لا على وجود القَتَر أو الغَيْم. والنهي عن صوم الشك محمولٌ على حالِ الصحو أيضًا، بدليل ما ذكرنا، والله أعلم.

قال أبو بكر أحمد بن محمد الصيدلاني: قال سمعت أبا بكر

---

(١) رقم (١٠٨٠).

(٢) ذكره البخاري معلقًا (٤/ ١١٩ ـ الفتح) من حديث عمار. ووصله أبو داود (٢٣٣٤) والترمذي (٦٨٦) والنسائي (٤/ ١٥٣)، وصححه ابن خزيمة (١٩١٤) وابن حبان (٣٥٨٥) والحاكم (١/ ٤٢٣).

(٣) في الأصل: «فإنه».

(٤) أي: ابن قدامة في «المغني» (٤/ ٣٣٣).

(٥) في الأصل: «لأمانته». والتصويب من «المغني».

المرُّوذي[(١)] يقول: سمعتُ أحمد بن محمد بن حنبل يقول: الهلالُ إذا حالَ دونَ منظرِه غيمٌ أو قترٌ، فينبغي أن يَعتقِدَ من الليل أنه يُصبح صائمًا، لأنه لا يدري أمِن رمضان هو أو مِن شعبان؟

قال: وكذا رُوِي أنه: «**لا صيامَ لمن لم يجمع الصيام من الليل**»[(٢)]، فيَعتقد مخافةَ أن يكون من شهر رمضان. أَذهبُ إلى تقليدِ ابن عمر ﵄.

قال أبو بكر المرُّوذي[(٣)]: فقلت لأبي عبد الله: أليس نَهَى عن صيامِ يوم الشك؟ قال: هذا إذا كان صَحْوًا، فأما إذا كان في السماء قَتَرٌ أو غيمٌ يُصَامُ على فِعلِ ابن عمر.

قال محمد بن جعفر الصيدلاني: ثنا الفضل بن زياد[(٤)]، قال: سمعتُ أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول في صوم يوم الشك: أذهبُ فيه إلى حديث ابن عمر أنه كان ليلةَ الثلاثين من شعبان يُنظَر له الهلالُ، فإن حالَ دونَه سحابٌ أو قَتَرٌ أصبحَ صائمًا، وإن لم يَحُلْ دونَه سحابٌ ولا قترٌ أصبح مُفطرًا.

قال الفضل: سمعتُه ـ وسُئِل عن قولِ رسولِ الله ﷺ: «**فإن غُمَّ عليكم فاقْدُروا له**» ما معناه؟ ـ قال: هذا رواه ابن عمر إذا حالَ دون منظرِه سحابٌ أو قَتَرٌ ليلةَ الثلاثين من شعبان أصبحَ صائمًا، وإذا لم

---

(١) لم أجد هذه الرواية فيما بين يديَّ من المصادر، وقد أشار إليها ابن الجوزي في «درء اللوم والضيم» (ص٥٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٤٥٤) والترمذي (٧٣٠) من حديث حفصة ﵂، وقال الترمذي: لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه، وصحح وقفه على ابن عمر.

(٣) ذكره ابن تيمية في «شرح العمدة» (٣/ ٩٥).

(٤) أشار إلى هذه الرواية ابن الجوزي في «درء اللوم والضيم» (ص٥٢).

يَحُلْ دونَه سحابٌ ولا قَتَرٌ أصبحَ مفطرًا، وهو رواه عن النبي ﷺ وفعل ذلك.

وقال الشيخ أبو زكريا في «شرح صحيح مسلم»[1] رحمه الله: قوله ﷺ: «**لا تصوموا حتى تروا الهلالَ، ولا تُفطِروا حتى تروه، فإن أُغْمِي عليكم فاقْدُروا له**»[2]، وفي رواية: «**فاقدروا له ثلاثين**»، وفي رواية: «**فإذا رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غُمَّ عليكم فاقْدُروا له**»، وفي رواية[3]: «**فإن غُمَّ عليكم فصوموا ثلاثين يومًا**»، وفي رواية: «**فإن غُمِّي عليكم فأكملوا العدد**»، وفي رواية: «**فإن غُمِّيَ[4] عليكم الشهر فعُدُّوا ثلاثين**»، وفي رواية: «**فإن أُغْمِي عليكم فعُدُّوا ثلاثين**».

هذه الروايات كلها في «صحيح مسلم» على هذا الترتيب، وفي روايةٍ للبخاري[5]: «**فإن غُبِّي عليكم فأكملوا عدةَ شعبانَ ثلاثين**».

واختلف العلماء في معنى «**فاقْدُروا له**»:

فقالت طائفة من العلماء: معناه ضَيِّقوا له وقَدِّروه تحتَ السحاب. وممن قال بهذا أحمد بن حنبل وغيره ممن يُجوِّز صوم يوم ليلة الغَيْم عن رمضان.

وقال ابن سُريج وجماعةٌ منهم مُطَرِّف بن عبد الله وابن قتيبة وآخرون: معناه قَدِّروه بحساب المنازل.

---

(١) (٧/ ١٨٨ ـ ١٨٩).
(٢) هذه رواية ابن عمر عند مسلم (١٠٨٠/ ٣).
(٣) هذه رواية أبي هريرة عند مسلم (١٠٨١/ ١٧).
(٤) في الأصل: «غُمَّ». والمثبت موافق لما عند مسلم.
(٥) رقم (١٩٠٩).

وذهب مالك والشافعي وأبو حنيفة وجمهور السلف والخلف إلى أن معناه قَدِّروا له تمامَ العدد ثلاثين يومًا.

قال أهل اللغة(١): يقال: «قدَّرتُ الشيءَ أُقدِّره، وقَدَرْتُه، وأَقْدَرتُه» بمعنى واحد، وهو من التقدير. قال الخطابي: ومنه قوله الله سبحانه وتعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ۝٢٣﴾ [المرسلات: ٢٣].

واحتج الجمهور بالروايات المذكورة «**فأكملوا العدَّة ثلاثين**»، وهو تفسيرٌ لـ «**اقْدُروا له**»، ولهذا لم يجتمعا في روايةٍ، بل تارةً يُذكَر هذا وتارةً هذا، ويؤكدِّه الرواية السابقة «**فاقْدُروا له ثلاثين**».

قال المازري(٢): حملَ جمهور الفقهاء قولَه ﷺ: «**فاقْدُروا له**» على أن المراد إكمالُ العدة ثلاثين، كما فسَّره في حديث آخر. ولا يجوز أن يكون المراد حساب المنجِّمين، لأنَّ الناسَ لو كُلِّفُوا به ضاقَ عليهم، لأنه لا يعرفه إلّا الأفراد، والشرعُ إنما يُعرِّف الناسَ بما يعرفه جماهيرهم، والله أعلم. هذا كلام الشيخ أبي زكريا رحمه الله(٣).

وذهب أحمد بن حنبل إلى جواز صومه كما تقدم، لما روى نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**الشهر تسعٌ وعشرون، فلا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تُفطِروا حتى تروه، فإن غُمَّ عليكم فاقدروا له**». قال نافع: كان عبد الله بن عمر إذا مضى من شعبان تسعةٌ وعشرون يَبعثُ من ينظر الهلال، فإن رأى فذاك، وإن لم يَرَ ولم يَحُلْ دون منظرِه سحابٌ ولا قَتَرٌ أصبح مُفطِرًا، وإن حالَ دون منظرِه سحابٌ

---

(١) كما في «معالم السنن» للخطابي (٢/ ٩٤) طبعة حلب.
(٢) في «المعلم» (٢/ ٢٩).
(٣) إلى هنا انتهى النقل عن «شرح صحيح مسلم» للنووي.

أو قَتَرٌ أصبح صائمًا. متفق عليه[(١)].

ومعنى «اقْدُروا له» أي ضَيِّقُوا له العدد، من قولِه تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق: ٧] أي ضُيِّق عليه، وقوله: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الشورى: ١٢]. والتضييق له أن يُجعَلَ شعبانُ تسعةً وعشرين يومًا، وقد فسَّره ابن عمر بفعله، وهو راويه وأعلمُ بمعناه، فتعيَّن الرجوع إلى تفسيره، كما رُجِعَ إليه في تفسير التفرُّق في خيار المتبايعين[(٢)].

ولأن الصوم يُحتَاطُ له، ولذلك وجبَ الصومُ بخبر واحدٍ، ولم يُفطَر إلّا بشهادة اثنين، كما ذهب إليه ابن المبارك والشافعي وأحمد. وقال إسحاق: لا يُصامُ إلّا بشهادة رجلين. ولم يختلف أهل العلم في الإفطار أنه لا يُقبَل فيه إلّا بشهادة رجلين، إلّا أبا ثورٍ، فجوَّزه بعدلٍ.

وإذا[(٣)] صامه الرجل بنيَّةٍ معلَّقةٍ، بأن ينوي إن كان من رمضان أجزأه وإلّا فلا، وتبيَّن أنه من رمضانَ، أجزأه ذلك عند أكثر العلماء، وهو مذهب أبي حنيفة، وأصحّ الروايتين عن أحمد وغيره، فإن النية تَتْبَعُ [العلم]، فمن عَلِم ما يريد فعْلَه نواه بغير اختيارِه، وأما إذا لم يعلم الشيءَ امتنعَ أن يَقصِده، فلا يُتَصَّوَرُ أن يَقصِد صومَ رمضانَ جزمًا من [غير] أن يعلم أنه من رمضان. فإن علم أن هذا من رمضان فلابدّ

---

(١) أخرجه مسلم (٦/١٠٨٠) من طريق نافع دون فعل ابن عمر. وأخرجه أحمد (٤٤٨٨) بتمامه. وأخرجه البخاري (١٩٠٧) ومسلم (٩/١٠٨٠) من طريق عبد الله ابن دينار الحديث المرفوع فقط.

(٢) في الحديث الذي أخرجه البخاري (٢١٠٧) ومسلم (١٥٣١).

(٣) من هنا إلى آخر الرسالة مأخوذ من كلام شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٢٥/ ١٠٠ ـ ١٠٣) بشيء من التصرّف. وبعض الزيادات بين معكوفتين منه.

من التعيين في هذه الصورة، فإن نوى نفلًا أو صومًا مطلقًا لم يُجزِئْه، لأن الله أمره أن يقصد أداءَ الواجبِ عليه، وهو شهر رمضان الذي علم وجوبه، فإذا لم يفعل الواجب لم تبرأ ذمّتُه.

وأمَّا إذا كان لم يَعلم أن هذا من شهر رمضان، فهذا لا يجب عليه التعيين. ومن أوجب التعيينَ مع عدمِ العلم فقد أوجب الجمعَ بين الضدَّين، فإذا قيل: إنه يجوز صومُه، وصام في هذه الصورة بنيّة مطلقة أو معلّقةٍ أجزأه.

وأما إذا قصد صوم ذلك تطوعًا، ثم تبيَّن أنه كان من شهر رمضان، فالأشبه أنه يُجزئه أيضًا، كمن كان لرجلٍ عنده وديعةٌ، ولم يعلم ذلك، فأعطاه ذلك على طريق التبرُّع، ثمَّ تبيَّن أنه كان حقّه، فإنه لا يحتاج إلى عطاءٍ ثاني[1]، بل يقول له: ذلك الذي وصل إليك هو حق كان عندي، والله يعلم حقائقَ الأمور.

والرواية التي تُروى أن الناس تَبَعٌ للإمام في نيته، على أن الصوم والفطر هو بحسب ما يعلمه الناس، كما في «السنن»[2] عن النبي صلى الله عليه [وسلم] أنه قال: «**صومُكم يوم تصومون، وفطركم يوم تُفطِرون، وأضحاكم يوم تُضحُّون**».

وقد تنازع الناس في الهلال: هل هو اسمٌ لما يطلع في السماء وإن لم يَرَه أحدٌ، أو لا يسمَّى هلالًا حتى يستهلّ به الناس ويعلموه؟ على قولين في مذهب أحمد وغيره.

(١) كذا، وفي «مجموع الفتاوى» (٢٥/ ١٠٢): «إعطائه ثانيًا».
(٢) أخرجه الترمذي (٦٩٧) والدارقطني (٢١٨٠) والبيهقي (٤/ ٢٥٢) من حديث أبي هريرة، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وعلى هذا ينبني [النزاع فيما] إذا كانت السماء مُطْبَقةً بالغيم أو في يوم الغيم مطلقًا، هل هو يوم شكّ؟ على ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره.

أحدها: ليس بشك إذا أمكنَتْ رؤيته، وهذا قول كثير من أصحاب الشافعي وغيرهم.

والثاني: أنه شكٌّ لإمكان طلوعه.

والثالث: أنه من رمضان حكمًا، فلا يكون يومَ شك. وهو اختيار طائفة من أصحاب أحمد وغيرهم.

وقد تنازع الفقهاء في المنفرد بهلال الصوم والفطر، هل يصوم ويُفطِر وحده، أو لا يصوم ولا يفطر إلّا مع الناس؟ على ثلاثة أقوال معروفة في مذهب أحمد وغيره(١).

(١) انظر تفصيل المسألة في «شرح العمدة» لابن تيمية (٣/ ١٠١ ـ ١٠٥) و«المغني» (٤/ ٤١٦).

فتوى
في كتب أبي الحسن البكري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآلِه أجمعين.

أنكر بعضُ من له اجتماعٌ بمشايخ العلم والحديث كُتُبَ البكري أحمد بن عبد الله لما سمعَها، وجاءَ منها بمجلَّدَين إلى مشايخ العلم ونَقَلَةِ الأخبار وعُدولِ الدين وأئمة المسلمين، الذين لا يزالُ اللهُ يؤيِّد بهم هذا الدِّينَ إلى يوم القيامة، ويُميِّزون بين الصحيح والسقيم، فلا تزال طائفةٌ من هذه الأمة على الحق، ولا يزالُ دينُ هذه الأمةِ ظاهرًا بالحجة والبيان والسيف والسِّنان، إذ قد أتمَّ اللهُ نورَ هذه الأمةِ وهذا الدين، فلا يَقدِر مبتدعٌ ولا زنديقٌ ولا منافقٌ ولا كافرٌ أن يزيدَ فيه ولا أن يَنقُصَ منه، وحفظَ الله لهذه الأمة كتابَها «القرآن» أن يُبدَّل ويُغيَّر، بل هو محفوظٌ، وكذلك الحكمة التي أنزلها اللهُ على رسولِه قد أقامَ اللهُ لها من هذه الأمة طائفةً بعد طائفةٍ يحفظونَها وينقلونَها، فلو أرادَ مبتدعٌ أو غيرُه أن يَزيَد فيها حرفًا أو يَنقُصَ حرفًا لأقامَ اللهُ له من يَكشِفُ أسرارَه ويَهتِكُ أستارَه، ويُنادِي عليه ويَفضَحه، ويُنافِحُ عن دينِ الله ورسولِه ويَنصَحُ المسلمين.

ولما جاء الرجلُ إلى أهل العلم والدين الموجودين في زمانه بتَيْنِكَ المجلدتينِ أنكروهما، ولم يَعرِفوا مصنِّفها البكري ولا في أيِّ وقتٍ كان، وقالوا للسائل: اكتُبْ لنا في هذه الكتب ومصنِّفها سؤالًا حتى نكتُبَ عليه، فقال لهم:

أنتم أُمَناء الدين وورثةُ الرسولِ وصَيارِفُ الحديثِ ونُقَّادُه، وفميِّزوا الصحيحَ منها والسقيم، وبيِّنوا حالَ الرواةِ الصادقِ منهم والكاذب، واكتبوا على هذه الكتب بما علَّمكم اللهُ من هذه الصناعة، وانصَحُوا لله ورسوله، وأدُّوا الأمانةَ في نصيحتكم للهِ ورسولِه ولكتابِه ولأئمةِ المسلمين وعامَّتِهم، وبيِّنُوا للناس حالَ هذه الكتب وحالَ مصنِّفها.

كتب الشيخ الإمام العلامة ذو الفنون والعلوم شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح أبي بكر بن أيوب الزُّرَعي ابن قيم الجوزية:

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات. هذا الكتاب المسمَّى بـ «انتقال الأنوار» لأبي الحسن البكري و«السبع الحصون» وأمثالهما من الكتب المشحونة بالكذب والافتراء على رسول الله ﷺ وعلى غيره من الأنبياء وغيرهم، كسيرة دَلْهَمَة والبطَّال وأحمد الدنف والزئبق المصري وسيرة جعفر والرشيد والبرامكة ونحو ذلك من الكتب المكذوبة المفتراة، إمَّا جميعُها وإمَّا أن يكون أصل السيرة شِبْرًا فيجعله الكذّابون فراسخَ وأميالًا = لا تجوز قراءتُها للناس ولا إعارتُها ولا إجارتُها ولا بيعُها ولا روايتُها ولا نَقْلُها.

وأما هذا الكتاب المسمَّى بـ «انتقال الأنوار» فحالُه أظهرُ وأبينُ من أن يتوقفَ فيه من له أدنى بَصَرٍ بالمنقول، والتمييز بين صحيحه وسقيمه، بل لا يستريبُ أحدٌ من أهل العلم بالنقل أن هذا الكتاب مشحونٌ بالكذب على رسولِ الله ﷺ. وقد تواتر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعدَه من النار**». رواه عن النبي ﷺ ستُّون نفسًا من الصحابة، منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمٰن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح

وغيرهم[١]، وفي لفظٍ عنه: «**من قال عليَّ ما لم أَقُلْ فليتبوأ مقعده من النار**»[٢]، وقال ﷺ: «**من روى عني حديثًا وهو يعلم أنه كَذِبٌ فهو أحد الكاذبين**»[٣].

وقد اختلف العلماء في تكفير الكاذب عليه ﷺ وفي قتلِه، بعد اتفاقهم على أن الكذب عليه من أعظم الكبائر التي يستحق فاعلُها العقوبةَ العظيمةَ في الدنيا ودخولَ النار في الآخرة. والكذب عليه ﷺ ليس كالكذب على غيرِه، كما قال ﷺ: «**إنَّ كذبًا عليَّ ليس ككذبٍ على غيري**»[٤]. والكذب عليه إما بوضع واختلاقٍ مبتدأ، وإما بأن يروي عنه الكذبَ بعد علمِه أنه كَذِبٌ ولا يُبيِّنَه.

ولما كثُر الكذّابون على رسول الله ﷺ أقام الله لدينِه من يَحفظُه ويَذُبُّ عنه، ويَنفي عنه الكذبَ، ويُبيِّنُ حالَ الرواةِ والكاذَب منهم والصادق والمجروح والمعدَّل، لئلّا يلتبس بالدين ما ليس منه حفظًا من الله تعالى لهذا الدين. ولا يزال ـ والحمد لله ـ في كل زمانٍ إذا ظهرَ الكذبُ والبدعُ عدولٌ شهدَ لهم رسولُ الله ﷺ بالعدالة، يَنفُون عن الدين الكذبَ والبدعَ وتأويلاتِ المُبطلين، كما جاء عنه ﷺ أنه قال:

---

(١) أخرج الطحاوي في «مشكل الآثار» (١/٣٥٢ ـ ٣٧٢) وابن الجوزي في مقدمة «الموضوعات» (١/٥٥ ـ ٩٤) كثيرًا منها. وأوردها السيوطي في «تحذير الخواص» (ص٨ ـ ٥٧) فبلغت ٩٧ حديثًا.

(٢) أخرجه البخاري (١٠٩) عن سلمة بن الأكوع. وهو من ثلاثياته.

(٣) أخرجه أحمد (٢٠١٦٣) والطيالسي (٨٩٥) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٤٢٢) وغيرهم من حديث سمرة بن جندب. وهو حديث صحيح، وفي الباب عن غيره من الصحابة.

(٤) أخرجه البخاري (١٢٩١) ومسلم (٤) من حديث المغيرة بن شعبة.

«يَحمِلُ هذا العلمَ من كلِّ خلفٍ عدولُه، يَنفُون عنه تحريفَ الغالين وانتحالَ المبطلين وتأويلَ الجاهلين»[١]. فهؤلاء خلفاء الرسول ووارثوه جزاهم الله خيرَ جزائه، كما قال فيهم الإمام أحمد[٢] ويُروَى عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه[٣]: «الحمد لله الذي جَعلَ في كلِّ زمانٍ فترةٍ من الرسُلِ بَقايَا من أهل العلم، يَدعُون من ضَلَّ إلى الهدى، ويَصبِرون منهم على الأذى، يُحيُون بكتاب الله الموتى، ويُبصِّرون بنور الله أهلَ العمى، فكم من قبيلٍ لإبليسَ قد أَحْيَوْه، وكم من ضَالٍّ تائهٍ قد هَدَوه، فما أحسنَ أثرَهم على الناسِ وأقبحَ أثرَ الناسِ عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريفَ الغالين وانتحالَ المبطلين وتأويل الجاهلين، الذين عَقَدُوا أَلْوِيَةَ البدعة وأَطْلَقُوا عِنَانَ الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب مخالفونَ للكتاب مُجمِعون على مفارقةِ الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جُهَّال الناس بما يُشبِّهون عليهم. فنعوذ بالله من فِتَنِ المُضِلِّين».

فصل

ومن أفضل الأعمال التي يُتقَرب بها إلى الله تمييزُ الكذبِ على

---

(١) خرَّجه المؤلف بتفصيل في «مفتاح دار السعادة» (١/ ٤٦٣ ـ ٤٦٧). وأشهر طرقه ما رواه ابن حبان في «الثقات» (٤/ ١٠) وابن عدي في «الكامل» (١/ ١١٨) والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (٥٥) من حديث مُعان بن رفاعة عن إبراهيم بن عبد الرحمٰن العذري مرسلًا.

(٢) في خطبة كتاب «الردّ على الزنادقة والجهمية».

(٣) رواه محمد بن وضاح في «البدع والنهي عنها» (ص٣) عن عمر بن الخطاب. وانظر: «الصواعق المرسلة» (١/ ٥٧٤).

رسولِ الله ﷺ من الصدق، فإن قوله ﷺ هو أساسُ الهدى ومَعْقِدُ السعادةِ والفلاح، والكذِبُ عليه من أعظم الباطل، فالتمييز بين الصدقِ عليه والكَذِبِ من أعظمِ نصيحة الله ورسولِه وكتابِه.

وهذه الكتبُ قد كَثُر فيها الدغَلُ والكذِبُ والافتراءُ، وهي في ذلك على مراتبَ في الكثرة والقلة:

فمنها ما كلُّه كذبٌ موضوعٌ لا أصلَ له، بل هو من أكاذيب الوضاعين، كملحمة دانيال، وسيرة حمزة، ومسائل عبد الله بن سَلَام، وكتاب الجَفَر المكذوب على عليّ، وكتاب الاختلاج والرعود والبروق المنسوب إلى جعفر الصادق، وكتاب الهَفْت والبطاقة[(١)].

ومنها ما أصلُه صحيح، لكن وضعَ عليه الكذّابون دَفاترَ كذبًا، كمناجاة موسى، وقصة داود، وسيرة الإسكندر، ووصايا عليّ، وكتاب الحجري، وقصص الأنبياء للكسائي. وليس هو الكسائي الإمام في القراءة والنحو واللغة، بل لا يُعرَف هذا الكسائي هو من الإنس أو من الجنّ[(٢)].

وأما هذا البكري فليس من أهل العلم، ولا له ذِكرٌ في كتب التواريخ وأسامي النَّقَلَة، وكذلك الحجري. ومن تأمل هذا الكتاب الملعون[(٣)] من

---

(١) انظر التعريف بهذه الكتب وما فيها من الأباطيل في «كتب حذَّر منها العلماء» لأخينا البحَّاثة الشيخ مشهور حسن آل سلمان.

(٢) لم يعرفه الحافظ ابن حجر في «نزهة الألباب» (٢/٣٠٧) و«الأسئلة الفائقة» (ص٥٩)، ويُنسب الكتاب في بعض المخطوطات والطبعات إلى محمد بن عبد الله الكسائي، ولعله كان من القرن الخامس. انظر: «تاريخ الأدب العربي» لبروكلمان (٦/١٥١، ١٥٢). ووهم من ظنَّه علي بن حمزة الكسائي إمام النحو والقراءات، مثل محقق «الأسئلة الفائقة».

(٣) كذا في الأصل، ولعله: «المشحون».

كذبه المسمَّى بـ «تنقلات الأنوار» علم أن كثيرًا منه بل أكثرُه مُضادٌّ لدين الإسلام، وأنه يليق بالنُّصَيرية والإسماعيلية والطُّرقية، وأنه مخالفٌ لكتبِ الله المنزلة. ولعلّ واضعَ هذا الكتاب كان زنديقًا أراد القدحَ في الإسلام والنبوة، فاختلقَ ما اختلقَه، أو جاهلٌ مُفرِطٌ في الجهل. وهذه الأكاذيب إنما تَليقُ بالنصارى والنُّصَيرية الذين يَغلُون في المسيح وعليٍّ بالكذب والبهتان.

فصل

ومما ينبغي الاعتناءُ به معرفةُ الكتب الصحيحة أو التي غالبُها صحيح، ليُستدَلَّ بها على الأكاذيب، ولولا جَهلُ الجهال بالصحيح لما راجَ عليهم الكذب، فمن عَلِمَها وقرأها عَلِمَ مناقضةَ هذه الكتب المختلَقة لها. فمن أجلِّها: كتاب البخاري الجامع الصحيح، وصحيح مسلم، ومسند الإمام أحمد، وموطأ مالك الإمام، وسنن أبي داود، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، وجامع الترمذي، ومسند البزار، ومسند عبد بن حُمَيد، ومسند أبي يعلى الموصلي، وأبي داود الطيالسي، وصحيح أبي حاتم ابن حِبَّان، وصحيح الحاكم. ويلي ذلك من الكتب المغازي: مغازي موسى بن عُقبة، وابن عائذ، والزهري، وابن إسحاق، وأبي إسحاق الفزاري، وهشام بن عروة، وكتاب دلائل النبوة للبيهقي، وأضعاف هذه الكتب التي هي سُرُجُ الإسلام، التي هي منبع الهدى، وهي التي تَفْضَح هذه الكتب المختلَقة المفتعَلَة.

فينبغي الاعتناءُ بهذه الكتب ومطالعتها، فإنّ فيها أيامَ رسولِ الله ﷺ وغزواتِه وسَراياه وسيرتَه وأعلامَ نبوتِه والأخبار عما كان وعما يكون،

فهي تُرَبِّي الإيمانَ في قلب العبدِ، وتَحْسِم عنه موادَّ الكفر والنفاق. وإذا ظَهَر نُورُها طفئَتْ كتبُ الباطل.

ويجب على وليِّ الأمر أن يَمنَع من قراءة هذا الكتاب المسمَّى «تنقُّلَات الأنوار» وأمثاله من الكتب المشارِكةِ له في الكذب على رسول الله ﷺ، والسعيُ في ذلك من أفضل الأعمال التي يُتقرَّبُ بها إلى ذي الجلال. والله يُوفِّقُ وليَّ الأمرِ لنصرِ دينه والذبِّ عن كتابه وسنة رسولِه، ويُعلِي الحقَّ وكلماتِه ويُخمِدُ الباطلَ وظُلماتِه، إنه سميعُ الدعاء وأهلُ الرجاء، ولا حولَ ولا قوةَ إلَّا بالله. والله تعالى أعلم. قال وكتبه محمد بن أبي بكر الحنبلي.

فوائد من كلام الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية رحمه الله من كتابٍ أرسله إلى أصحابه من الحجاز الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد مستلزمٌ لكمال المحمود وسَلْب النقائص، فإن الحمد المطلق التامّ لا يكون إلّا كذلك. ولما كان هذا شأنَه جعلَه مفتاحًا للصلوات والخطب وشعارًا لأمة محمد الحمّادين، واشتقَّ لنبيه ﷺ منه اسمين، أحدهما يدلُّ على أنه محمود مرةً بعد أخرى حمدًا متكررًا، وهو اسمه محمد، وأعطاه سورة الحمد ولواء الحمد والمقام المحمود، وسمّى أمتَه في الكتب السالفة الحمادين، وأعطاه أحمدَ الكتب وأحمدَ الأديان، وجعل الحمد خاتمةَ دعوى أهل ثوابه كما جعله فاتحة كتابه، وحَمِدَ نفسَه في أول كتابه وأوسطه وآخره، وما خَلَق ولا شَرع إلَّا ما هو محمود عليه.

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه]، قال ابن عباس[(١)]: تكفَّل الله لمن قرأ القرآن وعَمِل بما فيه أن لا يَضِلَّ في الدنيا ولا يَشقَى في الآخرة.

قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، قال الفضيل[(٢)]: أخلصه وأصوبه.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٤٦٧، ١٣/ ٣٧١) والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٨٩) والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٨١) وغيرهم.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الإخلاص والنية» (٢٢) وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٩٥).

قوله: ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور: ٦٣]، قال أحمد[١]: وأيُّ فتنةٍ هي؟ إنما هي الكفر.

قال أبو العالية وغيره[٢]: كلمتان يُسأل عنهما الأولون والآخرون يوم القيامة: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ التحقيق فيها يدفع الرياء، و﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ التحقيق فيها يدفع العُجب، وهما الفتنتان المُحبِطتان لأعمال العبد، وهما نار العمل.

من كلام بعض الصوفية[٣]: العارف يسير بين مشاهدة منَّة الله عليه ومطالعة عَيبِ عمله. وهو مأخوذ من حديث الاستغفار، فإنه متى شاهَد منَّةَ الله عليه وشاهَد عيبَ عمله استحيا أن يرفع رأسه، فضلًا عن أن يُعجَب بعمله.

في بعض الآثار[٤]: يقول الله تعالى: يا ابن آدم خلقتُك لنفسي، وخلقتُ كلَّ شيء لأجلك، فبحقّي عليك لا تشتغلْ بما خلقتُه لك عما خلقتُك له.

وفي آخر[٥]: ابنَ آدم خلقتُك لعبادتي فلا تَلعبْ، وتكفَّلتُ برزقك

(١) نقله ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٩/ ١٠٤) عن أحمد.
(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ١٤١). وانظر: «زاد المسير» (٤/ ٤١٩) و«الدر المنثور» (٨/ ٦٥٦).
(٣) هو شيخ الإسلام الهروي، وقوله في «منازل السائرين» (ص١١).
(٤) ذكره ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١/ ٢٣) و«جامع المسائل» (١/ ١٥٩)، والمؤلف في «روضة المحبين» (ص٤٢٣) و«طريق الهجرتين» (٢/ ٥٢٦). ولم أقف عليه مسندًا.
(٥) أثر إسرائيلي كما ذكره شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٨/ ٥٢)، وذكره =

فلا تَتْعبْ، ابنَ آدم اطلُبْني تجدْني، فإن وجدتَني وجدتَ كلَّ شيء، وإن فُتُّك فاتَك كلُّ شيء، وأنا أَحَبُّ إليك من كل شيء.

قال الحسن لشابّ: ما لك لا تُخالطنا؟ قال: إني أُصبح بين نعمةٍ من الله تَستوجب عليّ حمدًا وبين ذنبٍ منّي يستوجب استغفارًا، فأنا مشغولٌ عن مجالستك بحمده واستغفاره، فقال: أنتَ أفقهُ من الحسن(١).

من دعائه ﷺ يومَ عرفة: «**أنا العبد البائس المسكين المستجير، المُشفِق الوَجِل الخائف**»(٢).

قال بعض السلف(٣): الإيمان نصفان: نصفٌ صبر، ونصفٌ شكر. قال الله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥﴾ [لقمان: ٣١]، والدين بجملته يَرجع إليهما.

قال الشاعر(٤):

لئن سَاءني أن نِلْتِني بمساءةٍ   لقد سَرَّني أنّي خَطَرتُ ببالكِ

= أيضًا المؤلف في «روضة المحبين» (ص٤٢٤) و«طريق الهجرتين» (١/ ٩٥) و«الداء والدواء» (ص٤٦٣).

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «كتاب الشكر» (١٩٦). وذكره المؤلف في «طريق الهجرتين» (١/ ٢٠٦) و«عدة الصابرين» (ص٢٨٢، ٢٨٣).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١٤٠٥) و«الصغير» (١/ ٢٤٧) من حديث ابن عباس. وإسناده ضعيف.

(٣) ذكره المؤلف في «زاد المعاد» (٤/ ٤٩٠)، وذكره ابن تيمية في «جامع المسائل» (١/ ١٦٥) عن بعض السلف. وعن ابن مسعود أن الصبر نصف الإيمان، كما رواه وكيع في «الزهد» (٢٠٣) والطبراني في «الكبير» (٩/ ١٠٧) والحاكم (٢/ ٤٤٦) وغيرهم.

(٤) البيت لابن الدمينة في «الحماسة» (٢/ ٦٢) و«ديوانه» (ص١٧ ـ ١٨)، وهناك التخريج واختلاف النسبة (ص٢١٨).

الصبر على الآفات السماوية أسهلُ من الصبر على أذى الخلق، فإن النفس هنا تطلبُ الانتصارَ وتكرهُ الغلبة، ولهذا لا يَقدِر عليه إلّا الأنبياء والصدِّيقون، فبالصبر واليقين تُنَال الإمامة في الدين[(١)]، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾[(٢)] [السجدة].

قال علي رضي الله عنه كلمةً من جواهر الكلام[(٣)]: لا يَرجونَّ عبدٌ إلّا ربَّه، ولا يخافنَّ إلا ذنبَه.

وقال هو أو غيره[(٤)]: ما نزلَ بلاءٌ إلّا بذنب، ولا يُدفَع بلاءٌ إلا بتوبة.

قوله: ﴿وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، أولها لمن أخذَ مقدار حقِّه، ووسَطُها للسابق العافي، وآخرها لمن ظلم يُريد فوق حقِّه.

ينادي منادي يومَ القيامة: ألا ليقُمْ من وجبَ أجرُه على الله، فلا يقوم إلّا من عفا[(٥)].

---

(١) هذا من كلام شيخ الإسلام في «جامع المسائل» (١/ ١٦٨) و«مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٥٨).

(٢) في الأصل: «وجعلناهم»، سهو.

(٣) رواه معمر في «الجامع» (١١/ ٤٦٩) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٦٤٥) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٧٥) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٥٤٨). وانظر: «عيون الأخبار» (٢/ ١١٩). وشرحه شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٨/ ١٦١ ـ ١٨٠).

(٤) نقله المؤلف عن علي في «طريق الهجرتين» (٢/ ٦٠١) و«الداء والدواء» (ص١٧٩). ونقله شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٨/ ١٦٣) عن عمر بن عبد العزيز. وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٦/ ٣٥٩) عن العباس بن عبد المطلب بسند ضعيف جدًّا.

(٥) أخرجه ابن مردويه في «تفسيره» عن ابن عباس مرفوعًا كما في «الدر =

من ثواب الحسنة الحسنةُ، فلا يزال في ازدياد، كما أن من عقاب السيئة السيئة.

كان الشيخ عبد القادر إذا سكنَ مجلسُه حرَّكه بهؤلاء الكلمات: مَن أقبلَ إلينا تلقَّيناه من بعيد، ومن أراد مرادنا أردنا ما يريد، ومن سألَنا أعطيناه فوقَ المزيد، ومن تصرَّف بِحَولنا ألنَّا له الحديد[(١)].

الشرُّ الواصل إلى العبد إما من الناس وإما من الشيطان، فإن كان من جهة الناس فلدفْعِه طريقان: أحدهما مقابلته بالإحسان، وهي حال الأقوياء. والثانية بالإعراض، قال الله في الأولى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤]، وفي الثانية: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، فمن رام دفْعَه بغير هاتين فقد زاده من حيث لا يعلم، وهو كمن رام طفْيَ النار بنَفْخها. وإن كان من جهة الشيطان فدفْعُه بالاستعاذة، وقد جمع الله تعالى بين هذين الأصلين في موضعين: آية الأعراف[(٢)] وحم السجدة[(٣)]، فمن تدبَّرهما وعملَ بهما اندفع عنه شياطين الإنس والجن. وهذا من كنوز القرآن.

= المنثور» (٧/ ٤٣٥، ١٣/ ١٧١). ويُروى عن الحسن البصري كما في «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٣٦٤، ٣٠/ ٣٦٢) و«جامع الرسائل» (١/ ٨٤).

(١) رواه شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٥٤٩) عن أبيه عن محيي الدين بن النحاس وقال: أظنني سمعتها منه أنه رأى الشيخ عبد القادر في منامه وهو يقول إخبارًا عن الحق تعالى. ووردت نحو هذه الكلمات ضمن حديث قدسي نقله المؤلف في «مدارج السالكين» (٢/ ٥٣، ٥٤).

(٢) ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝١٩٩ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾ [١٩٩، ٢٠٠].

(٣) أي: سورة فصلت: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو =

﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾ [الأعراف: ٥٥]، فميَّز الدعاء بالخُفية والذكر بالخِيفة[١]، فهاهنا ثلاثة أشياء: التضرُّع والخُفْية والخِيفة، والتضرع: التذلل والتمسكن، وأمر الله داعيَه وذاكره بالتضرع، وأمرَ الداعيَ بالخُفية، والذاكر بالخيفة.

قال بعض السلف[٢]: مَن عبدَ الله بالحبِّ وحدَه فهو زنديق، أو بالخوف وحدَه فهو حَروري، أو بالرجاء وحدَه فهو مرجئ، ومن جمع بينها فهو صدّيق.

كلُّ خير في الإنسان مستفاد من خارج، لأنه خُلِق ظلومًا جهولًا، وهما أصل كل شر، كما أن العلم والعدل أصل كل خير، ولهذا لم يُذكَر الإنسان في القرآن إلا مقرونًا بالعيب: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ٦٦﴾ [الحج]، ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾ [إبراهيم]، ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢﴾ [العصر].

في الدعاء الذي علَّمه الصديق[٣] الاستعاذةُ من الشرِّ بحذافيره مصدرًا ومحلًّا: «**أعوذُ بك من شرِّ نفسي ومن شر الشيطان وشِرْكه**». لأنَّ الشر إما أن يَصْدُرَ منه أو من الشيطان، ومحلُّه الذي يعود عليه إما نفسه أو أخوه المسلم، فقال: «**وأن أقترِفَ على نفسي شرًّا أو أَجُرَّه إلى مسلم**».

«من عرفَ نفسَه عرفَ ربَّه»[٤] لا يصح مرفوعًا، إنما يُروى في

= حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ﴾ [٣٤ ـ ٣٦].

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٥/ ١٩ ـ ٢٠).

(٢) نسبه شيخ الإسلام إلى بعض السلف في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٨١، ٢٠٧، ١١/ ٣٩٠، ١٥/ ٢١)، وكذا المؤلف في «بدائع الفوائد» (٣/ ٨٥١).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٦٧) والترمذي (٣٣٩٢) وقال: حسن صحيح.

(٤) قال المؤلف في «مدارج السالكين» (٢/ ٤٦): ليس حديثًا عن رسول الله ﷺ، =

الإسرائيليات: «يا إنسان، اعْرِف نفسَك تعرِفْ ربَّك»[١].

روى ابن أبي شيبة[٢] بسنده إلى ابن عباس قال: ما أعلم الصلاة تنبغي من أحدٍ على أحدٍ إلا على النبي ﷺ.

فائدة: في التكلم والإمام يخطب أقوال: ثالثها يجوز للإمام وإن كلَّمه، قاله أحمد.

يدخل في مسمى «البرّ» الإيمان وأجزاؤه الظاهرة والباطنة، ولا شكَّ أن التقوى منها.

﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾ الآية [الحجرات: ١٤]، هم على أصحّ القولين مسلمون غير منافقين، وليسوا بمؤمنين، إذ لم يباشر الإيمانُ قلوبَهم حقيقةً.

قال طَلْق بن حبيب[٣]: إذا وقعت الفتنة فادفعوها بالتقوى، قالوا: وما التقوى؟ قال: أن تعملَ بطاعة الله على نور من الله تعالى ترجو ثوابَ الله، وأن تتركَ معصية الله على نورٍ من الله تخافُ عقابَ الله.

وهو[٤] من أحسنِ ما قيل في حدّ التقوى وحاصله إيمانًا

= وإنما هو أثر إسرائيلي بغير هذا اللفظ أيضًا: «يا إنسان اعرف نفسك تعرف ربك».

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٣٤٩) و«سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٦٦). وللسيوطي «القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه» ضمن «الحاوي للفتاوي» (٢/ ٢٣٨ - ٢٤١).

(٢) رقم (٨٨٠٨).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٣٤٣) وكذا هناد (٥٢٢) وابن أبي شيبة (٢٠٩٩٣) وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٦٤). ونقله المؤلف في «الرسالة التبوكية» (ص٨، ٩) و«مدارج السالكين» (٢/ ١٠٢).

(٤) من هنا إلى آخر الرسالة مقتطفات من «الرسالة التبوكية» (ص٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤).

واحتسابًا، فقوله: «على نورٍ من الله» إشارة إلى الأصل الأول. البِرُّ من باب تحصيل النفع، والتقوى من باب دفع الضرّ، لأن أصلها وَقْوَى، فهي من وَقَى يَقِي، وهي الطرق الموصلة إلى البر، وهو باب يُعرف به حدود ما أنزل الله على رسوله. وقد ذمَّ الله من لم يعرِفْ حدودَ ما أنزل الله على رسوله، فإنه ربما أدخلَ غيرَ مرادٍ وأخرجَ مرادًا، فالبرُّ والتقوى في جانب، والإثم والعدوان في جانب. فالإثم ما كان حرامًا لجنسه كالربا، والعدوان ما حُرِّمت الزيادة في قَدْره، وتعدِّي ما أباح الله منه باستيفاء المَجْنِيِّ عليه أكثر، فهو تعدِّي حدود الله.

وقد نهى الله عن تعدِّيها في آية(١)، وعن قُربانها في أخرى(٢)، لأن حدوده هي النهايات، ونهايةُ الشيء تارةً تدخلُ فيه فتكون منه، وتارةً لا تكون داخلةً فيه فيكونُ لها حكمٌ يقابله، فبالاعتبار الأول نهى عن تعدِّيها، وبالثاني نهى عن قُربانها. والله تعالى أعلم.

---

(١) في سورة البقرة: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [٢٢٩].
(٢) في سورة البقرة: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [١٨٧].

القسم الثاني

١ ـ فصل في تأمل ما في قصة الأحزاب من الحكم والعبر.

٢ ـ فصل في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾.

٣ ـ مسألة هل الحدود كفارات لأهلها؟ ومن خرج حاجًا ثم مات في الطريق هل يسقط فرضه؟

٤ ـ مسألة في كرامات الأولياء؛ هل هي ثابتة بالشرع أم لا؟

* **مسائل متفرقة:**

مسألة: في قضاء الوتر.

مسألة: في أنبياء بني إسرائيل صلى الله عليهم وسلم من بعد موسى؛ هل يأتون يوم القيامة مع موسى ﷺ، أو يأتي كل منهم بأمة وحده؟

مسألة: في رجل يُسرِّح لحيته في كل يوم في أوقات الصلوات وغيرها، ويكثر من التسرح؛ فهل يجوز له ذلك أم لا؟

مسألة: في رجل به وجع ووصف له شحم خنزير وغيره من النجاسات؛ فهل يجوز له فعل ذلك أم لا؟

تحقيق

عبد الله بن علي السليمان آل غيهب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، **أما بعد:**

فهذه رسائل ومسائل للعلامة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية رحمه الله، وقفت عليها أثناء البحث والتفتيش عن رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فبادرت إلى نشرها إذ لم أقف عليها ضمن ما طبع من تراثه، والله أسأل أن ينفع بها ويتقبلها بقبول حسن، آمين.

وتتضمن هذه المجموعة الرسائل الآتية:

١ ـ فصل في تأمل ما في قصة الأحزاب من الحكم والعبر.

وهي في الكلام على قصة الأحزاب وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۝٩﴾ الآيات، والإشارة إلى بعض ما ورد فيها من حكم وعبر، ووصف حال أهل الإيمان وأهل النفاق. وقد ختمها بخلاصة جمعت أطراف الكلام فقال: (فتضمنت القصة تعريفهم نعمه في بلائه، وبلاءه في نعمه، وبيان عاقبة الصادقين والكاذبين، وبيان حسن عاقبة من آمن به وسلم لأمره وانقاد لحكمه، وبيان أن الجبن والفرار لا يزيد في الأجل، وأن الإقدام والجهاد لا ينقص منه، وأن من أبغض خلقه إليه

وأمقتهم عنده الجبان البخيل البذيء ـ وهو فاحش اللسان ـ وقلما تفترق هذه الثلاثة، كما أن الشجاعة والسماحة وحسن الكلام قلما تفترق، والله المستعان).

وقد جاءت نسبة الرسالة إلى المؤلف صريحة في الأصل الخطي، كما أن أسلوبه فيها ظاهر جدًّا بحمد الله.

ويقع أصلها الخطي ضمن المجلد (**٨٣**) من كتاب «**الكواكب الدراري**» لابن عروة، المحفوظ بالمكتبة الظاهرية برقم (**٥٧٨**)، الورقة (**١١٤**)، وهو بخط إبراهيم الناجي رحمه الله وعفا عنه.

أولها: «قال الشيخ الإمام العالم بحر العلوم أبو عبد الله شمس الدين ابن القيم: فصل تأمل ما في قصة الأحزاب من الحكم والعبر...».

آخرها: «...وقلما تفترق هذه الثلاثة، كما أن الشجاعة والسماحة وحسن الكلام قلما تفترق، والله المستعان».

٢ ـ فصل في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾.

وهي في الكلام على مراتب الناس وأحوالهم، وبيان أن كمال النفس بـ«**العلم**»، و«**الحلم**»، و«**العدل**»، و«**الشَّجاعة**»، و«**السَّخاء**»؛ وأن سائر الصِّفات تبعٌ لهذه الصفات. وبيان مراتب العلوم، وأنواع العدل والصبر، وغير ذلك من بديع الكلام.

وقد جاءت نسبة الرسالة إلى المؤلف صريحة في الأصل الخطي، كما أن أسلوبه فيها ظاهر جدًّا بحمد الله، وقد أورد فيها أثرًا عن حملة

العرش بلفظ كرَّره في خمسة مواضع من كتبه ـ في المدارج والروح والبدائع وعدة الصابرين ـ، وقد علقت عليه في موضعه[(١)].

ويقع أصلها الخطي[(٢)] ضمن المجلد (٨٥) من كتاب «**الكواكب الدراري**» لابن عروة، دار الكتب المصرية (٤٧٢١٤)، الأوراق (٢٨٥ ـ ٢٨٦)، وهو بخط إبراهيم الناجي رحمه الله وعفا عنه.

أولها: «فصل قال بحر العلوم شمس الدين ابن القيم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ﴾ ...».

آخرها: «... في دفع المضارِّ عنهم في دينهم ودنياهم؛ وذلك غاية الفتوَّة والمروءة، وبالله المستعان».

وفوق قوله: «ابن القيم» تعليق بخط مغاير لخط الناسخ: «في طريق الهجرتين»، **فيحتمل** أن يكون هذا الفصل قد زاده المؤلف في بعض النسخ ولم تصل إلينا، **ويحتمل** ـ أيضًا ـ أن يكون التعليق قد كتب في هذا الموضع سهوًا، وسببه ـ والله أعلم ـ أن هذا الفصل الذي معنا قد أعقبه ابن عروة بفصول أخرى من كتاب «**طريق الهجرتين**»، فربما ظن صاحب التعليق أن ابتداء النقل من الكتاب من هذا الموضع، وإنما كان ابتداء النقل من الكتاب من الفصل الذي يليه، فالله أعلم بحقيقة الحال.

٣ ـ مسألة هل الحدود كفارات لأهلها؟ ومن خرج حاجًا ثم مات في الطريق هل يسقط فرضه؟

وهي جواب مسألة في الإنسان إذا بدا منه ذنبٌ مثل: شربٍ،

---

(١) انظر (ص١٠٠).

(٢) أشكر الأخ الكريم الحسين بن إغويله على تنبيهه على هذا الفصل؛ جعله الله في موازين حسناته، آمين.

أو زنا، أو قتلٍ، واقتص منه في الدنيا؛ فهل يبقى عليه شيء في الآخرة؟ وإذا خرج الإنسان إلى الحج فمات في الطريق؛ فهل يسقط فرضه أم لا؟

وتقع ضمن مجموع خطي عتيق من محفوظات مكتبة رئيس الكتاب برقم (١١٥٣)، وغالبه من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية. ومما ورد فيه أيضًا: مسائل وفتاوى متفرقة لجملة من علماء تلك الطبقة ـ كابن الزملكاني وابن القيم وابن كثير وغيرهم ـ، منها (٦) مسائل أجاب عنها العلامة ابن القيم، **وهي**: هذه المسألة، و«**مسألة في كرامات الأولياء؛ هل هي ثابتة بالشرع أم لا؟**» ـ وهي الرسالة رقم (٤) ـ، ومسائل أخرى ـ سيأتي ذكرها في الرسالة رقم (٥) ـ.

وربما ورد في الأصل أجوبة أخرى على هذه المسائل لعلماء آخرين، إلا أني اقتصرت هنا على أجوبة ابن القيم فقط ـ باستثناء المسألة الأخيرة في التداوي بالنجاسات ـ.

٤ ـ مسألة في كرامات الأولياء؛ هل هي ثابتة بالشرع أم لا؟

وهي جواب مسألة في كرامات الأولياء؛ هل هي ثابتة في الشرع أم لا؟ وهل شهر منها شيء أم لا؟ وما يذكر عن إبراهيم بن أدهم أنه رمى إبرته في البحر، ثم دعا الله وطلبها من السمك، فأطلعت سمكة إليه رأسها، فإذا الإبرة في فمها؛ فهل ذلك صحيح أم لا؟

وسبق الكلام على وصف أصلها الخطي في الرسالة رقم (٣).

٥ ـ مسائل متفرقة:

المسألة الأولى: في قضاء الوتر.

المسألة الثانية: في أنبياء بني إسرائيل صلى الله عليهم وسلم من

بعد موسى؛ هل يأتون يوم القيامة مع موسى ﷺ، أو يأتي كل منهم بأمة وحده؟

المسألة الثالثة: في رجل يُسرِّح لحيته في كل يوم في أوقات الصلوات وغيرها، ويكثر من التسرح؛ فهل يجوز له ذلك أم لا؟

المسألة الرابعة: في رجل به وجع ووصف له شحم خنزير وغيره من النجاسات؛ فهل يجوز له فعل ذلك أم لا؟

وسبق الكلام على وصف أصلها الخطي في الرسالة رقم **(٣)**.

وكتب

عبد الله بن علي السليمان

نماذج
من صور الأصول الخطية المعتمدة

قال الشيخ الإمام العالم بحر العلوم أبو عبد الله شمس الدين ابن القيم فصـــل تأمل ما في قصة الأحزاب من
الحكم والعبر ونحن نشير إليها إشارة تأمل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا
عليهم ريحا وجنودا لم تروها ذكرهم سبحانه ما أنعم به عليهم في هذه الواقعة ولم يرد ذكر النعمة لما أراد الأفراد
وإنما هو من نعمه الكثيرة عليهم وأما إرادة الجنس الذي هو أكثر من أن يحصر بجنود فعدل عن لفظ الجمع
المشعر بالعدد إلى لفظ الجنس الذي لا يحصر أفراده كقوله وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم نسب مجيء الجنود
إليهم وإرسال الجنود التي تدفعهم إليه وإن كان الجميع بقضائه وقدره فهذا أمر يحبه ويرضاه فأضافه إليه
وذاك قدره يسخطه ويكرهه فأضافه إلى الذين يتكلمون به ثم قابل تلك الجنود بجنود ثلاثة جنود من الملائكة وجنود
من المؤمنين وجند من الريح ثم ذكرهم شدة ما لقيهم ودفعه عنهم لما لم يكن لهم به قبل بقوله إذ جاؤوكم من فوقكم
ومن أسفل منكم فإن اشتملت بعضهم أحد جنبيهم جاءكم من الجانب الآخر ذكرهم ما بلغهم من الشدة وأنهم
وصلوا إلى حال زاغت فيه الأبصار عن أماكنها وبلغت فيه القلوب الحناجر وسألت ظنونهم بربهم فكانت
حالهم مضرعة لأبدانهم وقلوبهم ثم أخبر أن ذلك بلوى وبلية الابتلاء ثم أخبر عن وقوع الابتلاء وأثره من الزلزال
الشديد ثم أخبر عن تردد من ضعف بصيرته في الدين بقوله وتظنون بالله الظنونا وهو يحذرهم من ذلك
ويعاتبهم معاتبة حبيب لحبيبه ثم أخبر عن مجموع الخلق ... أطلعه على ... ما كانوا يكتمونه حين رأوا المؤمنين
قد ابتلوا وزلزلوا بقوله وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا وكلهم
منقسمين منافقين قد انطوت قلوبهم على الكفر ومرضى القلوب لم تصح قلوبهم بالإيمان وتسكن به قوتها وصحتها
فإن القلوب ثلاثة قلب صحيح قوي قد استكمل صحته وقوته وهو قلب المؤمن الصادق الإيمان وقلب منكوس
ميت فهو قلب المنافق وقلب مريض لم يبلغ به المرض حد الموت كقلب المنافق ولا استكمل صحته كقلب المؤمن
ثم أخبر عن قول هؤلاء وتثبيطهم وتخذيلهم عن رسوله والمؤمنين يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن
فريق منهم النبي في الرجوع يقولون إن بيوتنا عورة أي بادية مكشوفة للعدو وليسوا صادقين في ذلك
إنما يريدون الفرار ثم أخبر عن جبنهم وفرط قعودهم عن الجهاد بقوله ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة
أي الكفر والشرك لآتوها لأعطوها غير متلبثين ولا مدافعين فيعطونها مغلوبين بل لفرط جبنهم وقلة
بصيرتهم يعطون الفتنة بمجرد سؤالها من غير تحقق فإن برزوا للعدو فروا ولم يواجهوه وإن دخل عليهم
العدو بيوتهم سارعوا إلى إعطائهم ما يريدون منهم من موافقتهم على الشرك والكفر ثم عن غدرهم وعدم وفائهم
بما عاهدوا الله عليه بقوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤولا أي مطلوبا
من العبد القيام به ومسؤولا عنه يوم القيامة ثم أخبر سبحانه أن الجبان لا ينفعه فراره من الموت أو القتل وفي
ذلك تحريض على الشجاعة والصبر وأن الفرار لا يزيد في الأجل كما لا تنقص الشجاعة منه ولهذا قيل الشجاعة
اليقين بالمقدور وحسن الظن بالمعبود ثم أخبر أنهم لا يمتعون بالفرار إلا قليلا مع أنه لم يحصل مقصودهم

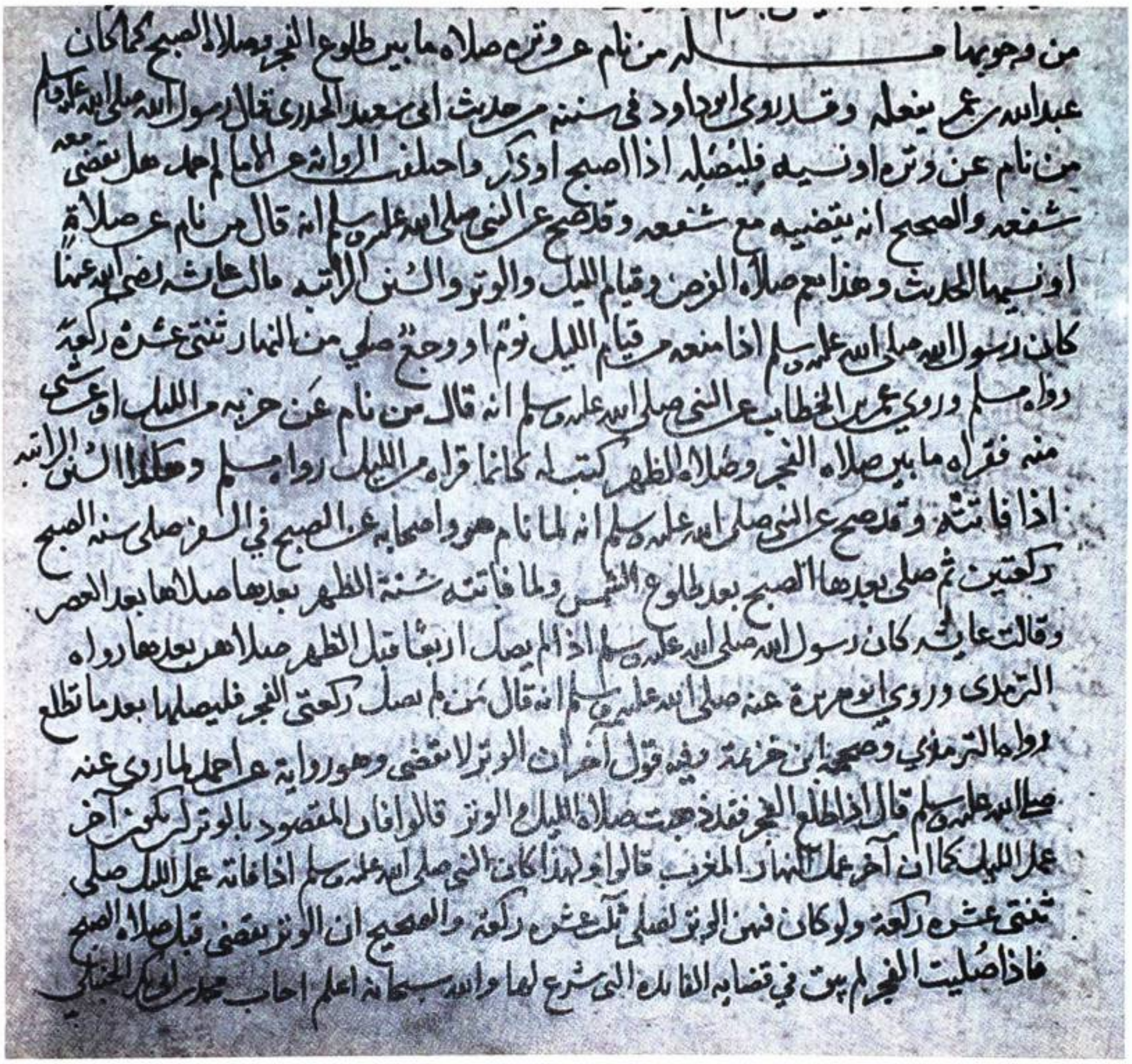
فانهم طلبوا بطول الحياة بالفرار فقصرها عليهم ولم يمتعهم بها الا قليلا فان غاية ما يقدر ان تحصل والفوز بالحياة
الطيبة عنده فاستبدلوا بذلك المتاع القليل ثم يموتون وتفوتهم حياة الشهداء ثم اخبر انهم لا عاصم لهم منه سبحانه
ان اراد بهم سوءا ولا مانع لهم من رحمته ان اراد بهم رحمة واكتفى بذكر احد الفعلين من الاخر وجعل في قوله من ذا
الذي يعصمكم من الله اي يمنعكم من سوء يريده بكم او رحمة يرحمكم بها ثم اخبر انهم لا يجدون لهم من دونه وليا يواليهم
ولا نصيرا غالبا ينصرهم منه فالولي ينفع بجاهه وشفاعته والنصير يدفع بقوته ونصرته فالله هو الولي
وحده وهو نعم المولى ونعم النصير ثم اخبر سبحانه عن حال القاعدين عن نصرة رسول الله المثقلين لجنده بقوله
قد يعلم الله المعوقين منكم المثبطين من يريد الجهاد مع الرسول والقائلين لاخوانهم هلم الينا تعالوا الينا ودعوا
رسول الله ومن معه فان العدو كثير لا طاقة لكم بهم فاقعدوا عن قتالهم لما منوا اذا غلبوا ثم اخبر عن جبنهم
بقوله فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت لشدة جبنهم وخوفهم ثم اخبر عن شحهم
وخبث السنتهم وحدتها اذا ذهب الخوف كما هو حال اهل الجبن والبخل تراهم اجبن الناس واطلقهم اخشنهم
السنة فقال فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد ثم اخبر عن شحهم بالمال كاشحة بالانفاق فقال اشحة على
الخير فاما ان يكون مضمنا معنى حراصا عليه شحا ادى الى امساكه وهو الظاهر واما ان يكون اللفظ اشحة على ان
الخير وهو المال عندهم كما تقول فلان شجيع على كثرة ماله جبان على قوة بدنه ثم اخبر عن الذي اصارهم الى ذلك
والى حبوط الاعمال وهو عدم الايمان ثم اخبر عن لزوم الخوف والجبن لهم وان العدو اذا ذهب عنهم وولى
يحسبون انهم لم يذهبوا لما قد ملأ قلوبهم من الرعب كالجبان الذي تولى عنه عدوه وهو لفرط رعبه يحسب انه
معه وانه في قبضته وان اتى العدو بعد ذلك ودوا انهم في البادية في الاعراب ولم يكونوا في المدينة ولا من اهل
القرى يسالون عن انباء الناس واخبارهم ولا يقاتلون ولا يدافعون ثم دعاهم الى التاسي برسوله وان هذه
الاسوة انما تحصل لمن كان يرجو الله واليوم الاخر واكثر من ذكره سبحانه فهذا هو الذي يتاسى برسوله
فان رجاءه ولقاءه وكثرة ذكره يحمله على التاسي والاقتداء به واما من عدم ذلك فلا يمكنه التاسي به ثم اخبر
عن كمال تصديق المؤمنين وقوة يقينهم وانقيادهم انهم لما راوا عدوهم قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق
الله ورسوله فان الله وعدهم على لسان رسوله ان اعداءهم لا بد ان يقاتلوهم وانهم منصورون عليهم ولهم العاقبة
والظفر وانه لا بد ان يبتليهم ويمتحنهم ولم يزدهم ذلك الا قوة في ايمانهم والانقياد والاستسلام ثم اثنى على الذين صدقوا
ما عاهدوا الله عليه من الوفاء له والصبر والصدق عند اللقاء ثم ان منهم من قضى نحبه فوفى بما عليه ومنهم من هو عازم
على ذلك جازم به ينتظر الوفاء والمؤمنون كلهم قد عاهدوا ربهم على الوفاء بعقود الايمان وحقوقه وهم بين موف
بعهده وبين من هو عازم على ذلك موطن نفسه عليه واما من لم يوف بعهد الايمان ولم يوطن نفسه على ذلك بل هو عازم
على الاعراض والاشتغال بلذاته وشهواته فليس من هؤلاء ولا من هؤلاء واحسن احواله ان يكون من المرجين لامر الله
اما يعذبهم واما يتوب عليهم ثم اخبر سبحانه عن جزاء الصادقين والكاذبين فقال ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب
المنافقين ان شاء او يتوب عليهم فياذن سبحانه بتوبتهم من كذبهم ونفاقهم فاذا تابوا قبل توبتهم هو المان على من تاب منهم لا الذي
لو وفقه للتوبة والقبول لهلكوا ثم اخبر عن صنعه باعدائه واعداء رسوله انه ردهم بغيظهم لم يشتفوا منه ولم ينالوا في حربهم ذلك
خيرا وانه هو الذي ردهم عنكم من غير قتال منكم وانه هو الذي كفاكم مؤنة القتال وكلفته وانه هو القوي الذي لا يغلب
المستنصر العزيز الذي لا يذل من والاه واعتز به ثم اخبر عن بحثه بالذين ظاهروهم وعاونوهم من اليهود وانزلهم اياهم

[illegible]

فصل قال بحر العلوم شمس الدين ابن القيم في قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من
عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير. أحوال
الإنسان وإن كثرت واختلفت فهي ثلاثة إلى ثلاث منازل أعلى وأسفل وأوسط وبعد هذه حال رابعة إذا
تركها كان إنسانا بالصورة لا بالحقيقة والبهائم خير منه فأعلى حالات الإنسان وأشرفها إيثار إلهه الحق
ومعبوده وفاطره الذي ابتداؤه منه ومرجعه إليه إيثاره بالمحبة والطاعة وابتغاء الوسيلة إليه والقرب
والتودد إليه كما يتودد المحب الصادق الذي لا غنى له عن محبوبه إلى محبوبه أحب شيء إليه وهو أفقر شيء وأحوجه
إليه فلا يزال ناظرا إليه بقلبه لا يلهيه عنه شيء ليس له همّ إلا في مرضاته ولا حديث نفس إلا به إن نطق نطق به وإن
سكت سكت به وإن غضب فلأجله وإن رضي فلأجل رضاه وهذا في سروره ونعيمه وبهجته ولذته في
الدنيا كأهل الجنة في الآخرة بين نعيم هذا ونعيم أهل الدنيا بدنياهم أعظم تباين فهذه أعلى أحوال الإنسان
وأشرف مراتبه وأما الحالة الوسطى مشغول بدنياه قائم بحق دينه ممتثل للأمر والنهي سايح
في حلال نفسه آخذ بحظه من الشهوات واللذات في غير محرم لم يباشر قلبه من الإرادة والمحبة الخاصة والشوق
ما باشر قلب صاحب الحالة العليا ولا هو خال منه بالكلية وأما الحالة السفلى فحاله مؤثر للدنيا قد ملكت
قلبه ونفسه وجوارحه فهي شغله وهمه إن أعطي منها رضي وإن منع سخط يستفرغ وسعه في طلبها ولم يدر من
خدمته وطاعته ما فضل من أوقات دنياه فإن لم يفضل منها شيء فوّت حق الله ومع هذا فهو مؤمن بالله
ورسوله ولقائه ولكن إيمانه مغمور بشهواته ولذاته وكل قسم من هذه الأقسام ينقسم إلى أعلى ووسط وأدنى
فصاحب المرتبة الأولى يأخذ من الدنيا وأسبابها ما يوصله إلى الله والدار الآخرة وصاحب المرتبة
الثالثة يأخذ من أعمال البر ما يستعين به على دنياه وشهواته وحظوظه غالبا وصاحب المرتبة الوسطى
تارة وتارة ولكن الغالب عليه التزود لمعاده وأما الحالة الرابعة التي لا يستحق صاحبها أن يكون إنسانا
إلا بالصورة فهو في نفس الأمر شر من الخنازير والكلاب كما قال تعالى إن شر الدواب عند الله الصم
البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون فهذه حالة من خلا
قلبه من خشية الله ومن محبته ورجائه والتوكل عليه والإنابة إليه وتعظيمه وإجلاله وبعد عن الفهم عن الله ورسوله
وامتنع من الانقياد واستجاب لدواعي طبعه وهواه ونفسه واستمر على ذلك حتى صار هو المعيار على ما يفعله
ويتركه فضاع عقله وضل فهمه وبطل سعيه وعمي قلبه فصار في خذلان الله خلوا من الدين عاريا من الإيمان
لابسا ثوب الجهل والفسوق والعصيان المعروف عنده ما وافق هواه والمنكر ما خالفه يؤثر حظه من الدنيا
وإن أسخط الله ويبغض فواته وإن أرضى الله جامعا للشر متنكلا للجهل وأصحاب هذه المرتبة أصناف
عديدة فمنهم من يتمكن فيه حتى يزيد جهله على جهل البهائم فيكون الحيوان البهيم أرعى لمصالحه منه وأتم لها إرادة
وأعظم نفرة عما يؤذيه ويضره ومنهم من يستعمل ما أوتيه من العقل في استنباط الطرق الموصلة إلى مطلوبه

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واعظم الناس انتفاعا ونفعا بعلمه الحليم واقلهم
نفعا وانتفاعا بعلمه من لا حلم له فان الطيش والحدة والنزق والخرق والبادرة القبيحة والعنف هي
اضداد الحلم وهي آفة العلم المانعة من الانتفاع به قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ
القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر وهذا غاية الحلم ان يعفو عن جنايتهم
على حقه ويستغفر لهم فيما بينه وبين الله ويتالف قلوبهم بالمشاورة ولا يفعل هذا الا احلم الناس وارحمهم فاعظم
ما استحق الانسان به من نفسه وخصه الحلم ولا يقوى عليه الا الشجاع على نفسه فليس الشجاع الذي يصرع الاقران
ويقهر النفوس انما الشجاع الذي يملك نفسه عند دواعي الغضب ودواعي الشهوة فان الشهوة والغضب سبعان
عاديان قد صرعا الابطال وقهرا الشجعان واذلا الجبابرة فبطل الابطال واوحد الشجعان من صرعهما فقهرهما
واذلهما بحيث صارا تحت قهره وحكمه والجبان من هو تحت قهرهما وحكمهما وقد تبين بهذا ان العفة والجود انما ينشآن
من الشجاعة فيشجع نفسه حتى يعف عن المآثم والمطامع ويشجعها حتى يجود بالمحبوب من المال لله تعالى ومثل الذين
ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم الاية فالشجاعة ثبات القلب عند اخراج المحبوب وانفاقه فان
النفس تجزع لذلك كما تجزع لورود المكروه فهما امران تجزع لهما النفوس غاية الجزع فالشجاعة ثبات القلب عند ورود
هذا ومفارقة هذا ومن ادق انواع الشجاعة ثبات القلب عند هجوم المحبوب عليه فكثير من الشجعان يثبت لورود
المكروه ولا يثبت لهجوم المحبوب بل منهم من يعتريه شبه الجنون والاختلاط والدهشة ومنهم من يموت فجاة. كما ذكر ان امير
مصر احمد ابن طولون خرج يتصيد في يوم غيم وبرد فراى صيادا على عنقه ابنه وهو قد يحنا عليه من البرد فادركته له
رحمة فنثر في حجر الرجل كيسا فيه ذهب ثم ذهب عنه فلما عاين الرجل ذلك الذهب في حجره غلب عليه الفرح فمات في
الحال فبلغ ذلك الامير فقال لكن قتلناه فان جاء الغنى وهلة واحدة بعد طول فقر ولو جاءه بالتدريج شيئا فشيئا
لم يصبه هذا والمقصود ان الشجاع من قوي على انتصافه من نفسه واخلاقها الدنية باضدادها ومن لم ينتصف من نفسه
فكيف يطلب الانتصاف من عدوه الخارج عنه وهذا هو حقيقة المروءة فانها خلق مستجمع من الانصاف والعدل والشجاعة
والصبر والحلم والجود واساسها وقاعدتها حمل ثقلك عن الناس فلا تحمل احدا ثقلك ما امكنك وكمالها حمل اثقال
الناس فاحمل اثقالهم ولا تحملهم ثقلك وعدم المروءة ان تحملهم ثقلك ولا تحمل اثقالهم والحالة المتوسطة ان تحمل عنهم وتحملهم
فيكون تعاوضا ما العدل وحاشا المروءة ان ترفع نفسك عن كل خلق دني وفعل قبيح وزي شنيع وان تعامل
الناس بما تحب ان يعاملوك به وان تحرص على ايصال المنافع اليهم في دينهم ودنياهم وفي دفع المضار
عنهم في دينهم ودنياهم وذلك غاية الفتوة والمروءة وبالله المستعان ٥

• فائدة العبد من حين استقرت قدمه في هذه الدار فهو مسافر فيها الى ربه ومدة سفره
هي عمره الذي كتب له فالعمر هو مدة سفر الانسان في هذه الدار الى ربه تعالى ثم قد جعلت الايام والليالي
مراحل لسفره فكل يوم وليلة مرحلة من المراحل فلا يزال يطويها مرحلة بعد مرحلة حتى ينتهي السفر فالكيس الفطن



من وجوبها مسألة من نام عن وتره صلاه ما بين طلوع الفجر وصلاة الصبح كما كان
عبد الله بن عمر يفعله وقد روى ابو داود في سننه من حديث ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من نام عن وتره او نسيه فليصله اذا اصبح او ذكر واختلف الرواية عن الامام احمد هل يقضي معه
شفعه والصحيح انه يقضيه مع شفعه وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من نام عن صلاة
او نسيها الحديث وهذا يعم صلاة الفرض وقيام الليل والوتر والسنن الراتبة قالت عائشة رضي الله عنها
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا منعه من قيام الليل نوم او وجع صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة
رواه مسلم وروى عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من نام عن حزبه من الليل او عن شيء
منه فقراه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كانما قراه من الليل رواه مسلم وكذلك السنن الراتبة
اذا فاتته وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما نام هو واصحابه عن الصبح في السفر صلى سنة الصبح
ركعتين ثم صلى بعدها الصبح بعد طلوع الشمس ولما فاتته سنة الظهر بعدها صلاها بعد العصر
وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لم يصل اربعا قبل الظهر صلاهن بعدها رواه
الترمذي وروى ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من لم يصل ركعتي الفجر فليصلها بعد ما تطلع
رواه الترمذي وصححه ابن خزيمة وفيه قول اخر ان الوتر لا يقضى وهو رواية عن احمد لما روي عنه
صلى الله عليه وسلم قال اذا طلع الفجر فقد ذهبت صلاة الليل والوتر قالوا ولان المقصود بالوتر ان يكون اخر
عمل الليل كما ان اخر عمل النهار المغرب قالوا ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا فاته عمل الليل صلى
ثنتي عشرة ركعة ولو كان يقضي الوتر لصلى ثلاث عشرة ركعة والصحيح ان الوتر يقضى قبل صلاة الصبح
فاذا صليت الفجر لم يبق في قضايه الفايدة التي شرع لها والله سبحانه اعلم اجاب محمد ابو بكر الحنبلي



مسألة في رجل يسرح لحيته في كل يوم في اوقات الصلوات وغيرها ويلتزم من
التسريح فهل يجوز له ذلك ام لا الجواب الحمد لله نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الترجل
الا غبا والترجل التسريح والغب فعله وقتا بعد وقت فيكره للرجل ان يتابع فعله دايما بل يفعله غبا
كما قال صلى الله عليه وسلم جواب محمد ابو بكر الحنبلي وقد روى الامام احمد وابو داود والترمذي وصححه من حديث عبد الله
بن المغفل ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الترجل الا غبا فان احتاج الى ذلك فعله ولا يكره له مع الحاجة
فقد روى النساي وغيره من حديث ابي قتادة انه كانت له جمة ضخمة فسال النبي صلى الله عليه وسلم فامره ان
يحسن اليها وان يترجل كل يوم والله اعلم كتبه يوسف محمد الحنبلي مسألة في خصي الخيل والبهايم

حتى اتي اهله وهذا في السنة كثير وقد تواترت كرامات الاولياء في وقايع لا يحصيها الا الله ولكن تشتبه
عليهم نوعان من الناس احدهما اتوا بمخاريق وخز عبلات او هموا الجهال انها كرامات وهي حيل
الثاني اصحاب احوال شيطانية خدموا الشياطين فخدمتهم الشياطين وطاروا بهم في الهوا
ومشوا بهم على الماء فظنوا انهم اوليا الله وانما هم اوليا الشياطين وقد كان منهم على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابن صياد ومسيلمة الكذاب والاسود العنسي وهم موجود في كل زمان وامامن ياخذ
في يده حجرا فيصير ذهبا او فضة او جوهرا فهذا ملكذب مفتري والله تعالى على كل شي قدير ولكن لم يقع مثل ذلك
في كرامات الاولياء واما قصة ابي نعيم فهو اجل من ذلك وكرامته اعلى من هذا وهذه الحكاية كذب
واما قول الجهال ان الله لا يخرق عادة فهو كذب على الله فانه سبحانه يخرق العوايد لانبيائه ورسله
ولمن شا من اوليائه والقران مملو من خرق العوايد كانشقاق القمر وفلق البحر وقلب العصا حية
وساير ما ذكر سبحانه من معجزات الانبيا فانها خرق عوايد وولاده من غير اب خرق عادة ونوم اصحاب
الكهف خرق عادة الي غير ذلك والله اعلم قاله محمد ابي بكر الحنبلي جواب اخر حاصل الامر
ان كلما ثبت نقله عن ولي من اوليا الله تعالى نصدق به ولا نوخذ ذلك عن مجرد حكايات يحكيها بعض
من لا يضبط الاخبار فان من شرط الصحة اتصال السند بنقل العدل الضابط عن مثله حتى ينتهي الي منتهاه
ولا نكتفي في قبول الخبر كون ناقله صالحا في نفسه كثير العبادة فانه والحالة هذه قد لا يكون ضابطا لما ينقله
وقد قال الامام مالك ما راينا الصالحين اكذب منهم في الحديث يعني من غير قصد منهم للكذب
ومن انكر خرق العادات فهو جاهل فيعرف ذلك بما ثبت من معجزات الانبياء وكرامات الاولياء
فان تاب ورجع الي الحق والا ضربت عنقه ان اصر على منع خرق العادة واما هذه الحكاية
المنقولة عن ابي نعيم فلا اليق مقام ابي نعيم خلاف ذلك وقد ثبت له من الكرامات ما لا يحتاج معه الي نقل ما
ليس بصحيح عنه واما انقلاب الحجارة او الحصا او التراب او الحطب او غير ذلك لهم ذهبا او فضة
او غير ذلك من انواع الجواهر فقد ذكر العلما من ذلك شيا كثيرا فالله اعلم بصحة ذلك ولكن قد روينا عن
حيوه بن شريح المصري انه ساله سايل ولم يكن عنده شي يعطيه وعرف ضرورة السايل فاخذ
حصاة من الارض فقلبها في يده ساعة ثم اعطاها للسايل فاذا هي ذهب احمر الي غير ذلك
من كرامات حبيب العجمي وابراهيم بن ادهم وغيرهم فالكرامات متى استعملها الولي في وقتها كان الحكم له

كما

النص المحقق

فصل

في تأمل ما في قصة الأحزاب
من الحكم والعبر

فصل
تأمل ما في قصة الأحزاب من الحِكَم والعِبَر

ونحن نشير إليها إشارة ما:

فقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾؛ ذكَّرهم سبحانه ما أنعم به عليهم في هذه الواقعة، وأفرد ذكر «**النعمة**»:

* إما إرادة **الإفراد**، وأنها نعمة من نعمه الكثيرة عليهم.

* وإما إرادة **الجنس**، الذي هو أكثر من أن يحصر بعدد، فعدل عن لفظ **الجمع** المشعر **بالعدد** إلى لفظ **الجنس** الذي لا تحصر أفراده؛ **كقوله**: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾(١).

ثم نسب مجيء الجنود إليهم، وإرسال الجنود التي تدفعها إليه، وإن كان الجميع بقضائه وقدره، فهذا قدر يحبه ويرضاه فأضافه إليه، وذاك قدر يسخطه ويكرهه فأضافه إلى محله ومن قام به، وقابل تلك الجنود بجنود ثلاثة: جنود من الملائكة، وجنود من المؤمنين، وجند من الريح.

ثم ذكرهم شدة ما أنجاهم منه ودفعه عنهم، وأنه لم يكن لهم به

---

(١) النحل: (١٨).

قِبَلٌ، بقوله: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾، فإن اشتغلتم بدفعهم من أحد الجانبين جاؤوكم من الجانب الآخر.

[ثم](١) ذكرهم ما بلغ بهم من الشدة، وأنهم وصلوا إلى حال زاغت فيها أبصارهم عن أماكنها، وبلغت فيها القلوب الحناجر، وساءت ظنونهم بربهم، فكانت حالة مضرة بأبدانهم وقلوبهم.

ثم أخبر أن تلك بلوًى وزلزالًا شديدًا، فأخبر عن وقوع الابتلاء وأثره من الزلزال الشديد.

ثم أخبر عن تردد من ضعفت بصيرته في الدين بقوله: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠(٢) ﴿١٠﴾﴾، وهو يعذرهم مع ذلك ويعاتبهم معاتبة حبيب لحبيبه.

ثم أخبر عن نجوم النفاق وجرأة أهله على إظهار ما كانوا يكتمونه حين رأوا المؤمنين قد ابتلوا وزلزلوا بقوله: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾.

وجعلهم صنفين: منافقين قد انطوت قلوبهم على الكفر، **ومرضى القلوب** لم تصح قلوبهم بالإيمان وتستكمل به قوتها وصحتها؛ **فإن القلوب ثلاثة:**

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في الأصل: «الظنون»، وقد ذكر الداني ـ في «**المقنع**» (ص٤٦) ـ إجماع المصاحف على رسمها بالألف، ولعلها رسمت بغير ألف موافقة لقراءة من قرأها كذلك والله أعلم، وممن قرأها بغير ألف وصلًا ووقفًا: أبو عمرو البصري، وهي القراءة السائدة في بلاد الشام وغيرها في عصر المؤلف. انظر: «**النشر في القراءات العشر**» (١/ ٤١) (٢/ ٣٤٨)، «**غاية النهاية**» (١/ ٢٩٢).

* **قلب صحيح قوي** قد استكمل صحته وقوته، وهو قلب المؤمن الصادق الإيمان.

* **وقلب منكوس ميت**، وهو قلب المنافق.

* **وقلب مريض** لم يبلغ به المرض حد الموت كقلب المنافق ولا استكمل صحته كقلب المؤمن.

ثم أخبر عن قول هؤلاء وتثبيطهم وتخذيلهم عن رسوله والمؤمنين: ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ﴾ في الرجوع ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ﴾ أي بادية مكشوفة للعدو. وليسوا صادقين في ذلك؛ إنما يريدون الفرار.

ثم أخبر عن جبنهم وفرط قعودهم عن الجهاد بقوله: ﴿وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ أي: الكفر والشرك، ﴿لَأٓتَوۡهَا﴾: لأعطوها غير متلبثين ولا مدافعين فيعطوها مغلوبين، بل لفرط جبنهم وقلة بصيرتهم يعطون الفتنة بمجرد سؤالها من غير توقف، فإن برزوا للعدو فروا ولم يواجهوه، وإن دخل عليهم العدو بيوتهم سارعوا إلى إعطائهم ما يريدون منهم من موافقتهم على الشرك والكفر.

ثم [أخبر][(١)] عن غدرهم وعدم وفائهم بما عاهدوا الله عليه بقوله: ﴿وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولٗا ١٥﴾، أي: مطلوبًا من العبد القيام به ومسؤولا عنه يوم القيامة.

ثم أخبر سبحانه أن الجبان لا ينفعه فراره من الموت أو القتل، وفي ذلك تحريض على الشجاعة والصبر، وأن الفرار لا يزيد في

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

الأجل، كما لا تنقص الشجاعة منه؛ **ولهذا قيل**: «**الشجاعة**: اليقين بالقدر، **والجود**: حسن الظن بالله».

ثم أخبر أنهم لا يمتعون بالفرار إلا قليلا مقابلة لهم بنقيض مقصودهم، فإنهم طلبوا طول الحياة بالفرار فقصرها عليهم ولم يمتعهم بها إلا قليلا؛ فإن غاية ما يقدّر القتل والفوز بالحياة الطيبة عنده، فاستبدلوا بذلك المتاع القليل، ثم يموتون وتفوتهم حياة الشهداء.

ثم أخبر أنهم لا عاصم لهم منه سبحانه إن أراد بهم سوءًا ولا مانع لهم من رحمته إن أراد بهم رحمة، واكتفى بذكر أحد الفعلين من الآخر وجمعهما في قوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ **أي**: يمنعكم من سوء يريده بكم، أو رحمة يرحمكم بها.

ثم أخبر أنهم ليس لهم من دونه ولي يوالونه، ولا نصير غالب ينصرهم منه، **فالولي** ينفع بجاهه وشفاعته، **والنصير** يدفع بقوته ومغالبته، والله هو الولي وحده، وهو نعم المولى ونعم النصير.

ثم أخبر سبحانه عن حال القاعدين عن نصرة رسوله المخذلين لجنده بقوله ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ لمن يريد الجهاد مع الرسول، ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ تعالوا إلينا، ودعوا رسول الله ومن معه، فإن العدو كثير لا طاقة لكم بهم فاقعدوا عن قتالهم لتأمنوهم إذا غلبوا.

ثم أخبر عن جبنهم بقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ لشدة جبنهم وخوفهم.

ثم أخبر عن فحشهم وخبث ألسنتهم وحدتها إذا ذهب الخوف

كما هو حال أهل الجبن والبخل تراهم أجبن الناس وأبخلهم وأفحشهم ألسنة **فقال**: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾.

ثم أخبر عن شحهم بالمال كما شحوا بالأبدان فقال: ﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾:

* **فإما** أن يكون مضمنًا معنى: حراصًا عليه، شدادًا على إمساكه؛ وهو أظهر.

* **وإما** أن يكون المعنى: أشحة على أن الخير ـ وهو المال عندهم ـ كما تقول: فلان شحيح على كثرة ماله، جبان على قوة بدنه.

ثم أخبر عن الذي أصارهم إلى ذلك وإلى حبوط الأعمال وهو عدم الإيمان.

ثم أخبر عن لزوم الخوف والجبن لهم، وأن العدو إذا ذهب عنهم وولى يحسبون أنهم لم يذهبوا؛ لما خالط قلوبهم من الرعب، كالجبان الذي يولي عنه عدوه وهو لفرط رعبه منه يحسب أنه معه وأنه في قبضته، وإن أتى العدو بعد ذلك ودوا أنهم كانوا بادية في الأعراب ولم يكونوا في المدينة ولا من أهل القرى، يسألون عن أنباء الناس وأخبارهم ولا يقاتلون ولا يدفعون.

ثم دعاهم إلى التأسي برسوله، وأن هذه الأسوة إنما تحصل لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وأكثر من ذكره سبحانه، فهذا هو الذي يتأسى برسوله؛ فإن رجاءه لله ولقائه وكثرة ذكره يحمله على التأسي والاقتداء به، وأما من عدم ذلك فلا يمكنه التأسي به.

ثم أخبر عن كمال تصديق المؤمنين وقوة يقينهم وانقيادهم بأنهم لما رأوا عدوهم قالوا: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾؛

فإن الله وعدهم على لسان رسوله بأن أعداءهم لا بد أن يقاتلوهم وأنهم منصورون عليهم ولهم العاقبة والظفر، وأنه لا بد أن يبلوهم ويمتحنهم = ولم يزدهم ذلك إلا قوة في الإيمان والانقياد للأمر.

ثم أثنى على الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الوفاء له والصبر والصدق عند اللقاء، وأن **منهم** من قضى نحبه فوفى ما عليه، ومنهم من هو عازم على ذلك جازم به ينتظر الوفاء. والمؤمنون كلهم قد عاهدوا ربهم على الوفاء بعقود الإيمان وحقوقه، وهم **بين** موفٍ بعهده، **وبين** من هو عازم على ذلك موطن نفسه عليه. وأما من لم يوف بعهد الإيمان ولم يوطن نفسه على ذلك بل هو عازم على الإعراض والاشتغال بلذاته وشهواته = فليس من هؤلاء ولا من هؤلاء، وأحسن أحواله أن يكون من المرجئين لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم.

ثم أخبر سبحانه عن جزائه للصادقين والكاذبين، **فقال**: ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾، فيأذن سبحانه بتوبتهم من كذبهم ونفاقهم، فإذا تابوا قبل توبتهم فهو المانّ على من تاب منهم بالإذن له وتوفيقه للتوبة وبالقبول لها.

ثم أخبر عن صنعه بأعدائه وأعداء رسوله أنه ردهم بغيظهم لم يشتفوا منه ولم ينالوا في حربهم ذلك خيرًا، وأنه هو الذي ردهم عنكم من غير قتال منكم، وأنه هو الذي كفاكم مؤنة القتال وكلفته، وأنه هو القوي الذي لا يغلب من استنصر به، العزيز الذي لا يذل من والاه واعتز به.

ثم أخبر عن بطشه بالذين ظاهروهم وأعانوهم من اليهود وإنزاله إياهم من حصونهم وقلاعهم، وأنه أنزلهم بجند من الرعب قذفه في

قلوبهم ومكن المؤمنين منهم بالقتل لمقاتِلَتِهم والسبي لذراريهم، وأنه أورثهم أرضهم ومساكنهم وأموالهم وأرضا لم يطؤوها قبل ذلك.

فهذا صنعه في الكاذبين والمنافقين والمشركين، وذاك لطفه بالصادقين المخلصين الموحدين، **وهذا** شأنه وسنته في عباده إلى يوم القيامة.

فتضمنت القصة تعريفهم نعمه في بلائه، وبلاءه في نعمه، وبيان عاقبة الصادقين والكاذبين، وبيان حسن عاقبة من آمن به وسلم لأمره وانقاد لحكمه، وبيان أن الجبن والفرار لا يزيد في الأجل، وأن الإقدام والجهاد لا ينقص منه، وأن من أبغض خلقه إليه وأمقتهم عنده الجبان البخيل البذيء ـ وهو فاحش اللسان ـ وقلما تفترق هذه الثلاثة، كما أن الشجاعة والسماحة وحسن الكلام قلما تفترق، والله المستعان.

فصلٌ

في قوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾

فصلٌ

قال بحرُ العلوم شمسُ الدِّين ابنُ القيِّم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾[1]:

أحوالُ الإنسان ـ وإن كثرت واختلفت ـ فهي مضافةٌ إلى ثلاثة منازلَ: **أعلى، وأسفل، وأوسط**؛ وبعد هذه **حالٌ رابعةٌ** إذا نزل إليها، كان إنسانًا بالصُّورة لا بالحقيقة، والبهائمُ خيرٌ منه.

* **فأعلى حالات الإنسان وأشرفُها:** إيثارُ إلهه الحقِّ ومعبودِه وفاطرِه، الذي ابتداؤُه منه، ومرجعُه إليه، إيثاره بالمحبَّة والطَّاعة وابتغاء الوسيلة إليه، والقرب والتَّودُّد إليه، كما يتودَّد المحبُّ الصَّادق الذي لا غنى له عن محبوبه إليه؛ فمحبوبُه أحبُّ شيءٍ إليه، وهو أفقرُ شيءٍ وأحوجُه إليه؛ فلا يزال ناظرًا إليه بقلبه، لا يلهيه عنه شيءٌ، ليس له همٌّ إلَّا في مرضاته، ولا حديث نفسٍ إلَّا به؛ إن نطق، نطق به؛ وإن سكت، سكت به؛ وإن غضب، فلأجله؛ وإن رضيَ، فلأجل رضاه.

وهذا في سروره ونعيمه وبهجته ولذَّته في الدُّنيا كأهل الجنَّة في الآخرة؛ فبين نعيم هذا ونعيم أهل الدُّنيا بدنياهم أعظمُ تباينٍ؛ **فهذه أعلى أحوال الإنسان وأشرف مراتبه.**

---

(١) فاطر: (٣٢).

* **وأمَّا الحالة الوُسطى**؛ مشغولٌ بدنياه، قائمٌ بحق ربِّه فيها، ممتثلٌ لأمره ونهيه، ساعٍ في خلاص نفسه، آخذٌ بحظِّه من الشَّهوات واللَّذات في غير محرَّمٍ، لم يباشر قلبَه من الإرادة والمحبَّة الخاصَّة والشَّوق، ما باشر قلبَ صاحبِ الحالة العليا، ولا هو خالٍ من ذلك.

* **وأمَّا الحالة السُّفلى**؛ فحاله مؤثِرٌ للدُّنيا، قد ملكت قلبَه ونفسَه وجوارحَه، فهي شغلُه وهمُّه؛ إن أُعطي منها رضي، وإن مُنع سَخط، يستفرغ وسعَه في طلبها، ولربِّه من خدمتِه وطاعته ما فَضُل من أوقات دنياه، فإن لم يَفضُل منها شيءٌ؛ فوَّت حقَّ الله.

ومع هذا؛ فهو مؤمنٌ بالله ورسوله ولقائه، ولكنَّ إيمانَه مغمورٌ بشهواتِه ولذَّاتِه.

وكلُّ قسمٍ من هذه الأقسام ينقسم إلى: أعلى، ووسط، وأدنى:

- فصاحبُ المرتبة **الأولى** يأخذ من الدُّنيا وأسبابِها ما يوصله إلى الله والدَّار الآخرة.

- وصاحبُ المرتبة **الثَّالثة** يأخذ من أعمال البِرِّ ما يستعين به على دنياه وشهواتِه وحظوظه غالبًا.

- وصاحبُ المرتبة **الوسطى** تارةً وتارةً، ولكنَّ الغالب عليه التَّزوُّد لمعاده.

* **وأمَّا الحالة الرَّابعة التي لا يستحقُّ صاحبُها أن يكون إنسانًا إلَّا بالصُّورة**؛ فهو في نفس الأمر شرٌّ من الخنازير والكلاب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾[1].

---

(١) الأنفال: (٢٣).

فهذه حالةُ مَن خلا قلبُه من خشيةِ الله، ومن محبَّته ورجائه، والتَّوكُّل عليه والإنابة إليه، وتعظيمه وإجلاله؛ **فبَعُدَ** عن الفهم عن الله ورسوله، **وامتنع** من الانقياد، **واستجاب** لدواعي طبعِه وهواه ونفسِه، **واستمرَّ** على ذلك حتَّى صار هو المعيارَ على ما يفعله ويتركه= فضاع عقلُه، وضلَّ فهمُه، وبطل سعيُه وعَمِيَ قلبُه؛ فصار في خذلان الله خِلْوًا من الدِّين، عاريًا من الإيمان، لابسًا ثوبَ الجهل والفسوقِ والعصيان؛ المعروفُ عنده ما وافق هواه، والمنكرُ ما خالفه، يُرضيه حظُّه من الدُّنيا وإن أسخطَ اللهَ، ويُغضبه فواتُه وإن أرضى اللهَ، جامعًا للشَّرِّ، مستكمِلًا للجهل.

وأصحابُ هذه المرتبة أصنافٌ عديدةٌ:

فمنهم من يتمكَّن فيها حتَّى يزيد جهلُه على جهل البهائم، فيكون الحيوان البهيمُ أرعى لمصالحه منه، وأتمَّ لها إرادةً وأعظمَ نُفرةً ممَّا يؤذيه ويضرُّه.

ومنهم من يستعمل ما أُوتِيه من العقل في استنباط الطُّرق الموصلة إلى ضروب الفواحش واختيار صنوف الكبائر.

وكلَّما كان القبيحُ أفحشَ وأفظعَ، كان عنده أحسنَ وإليه أعجبَ، فيزيد عند ذلك على جميع الحيوان فسقًا، كما زاد عليه جهلًا.

❀ ❀ ❀

فالحالة **الأولى**: نورٌ محضٌ وحياةٌ خالصةٌ.

والحالة **الرَّابعةُ** بالضِّدِّ من ذلك: ظلمةٌ كلُّها، وموتٌ محضٌ.

والحالة **الثَّالثة**: فيها شيءٌ من الحالة المتوسِّطة، وهي إلى الرَّابعة أقربُ.

والحالة الوسطى لها وجهانِ: وجهٌ إلى الحالة العليا، **ووجهٌ** إلى الحالة السُّفلى، وصاحبُها للغالب عليه منهما.

فالحالة الأولى: استحكم فيها النُّور، فقهر الظُّلمةَ وكشفَها، وظفر فيها العقلُ بالهوى فقهره وأسره وصيَّره من حزبه وجنده، فصار تبعًا لا متبوعًا، ومحكومًا عليه لا حاكمًا، وصارت الدَّولةُ فيها للقلب والرُّوح، والكلمةُ للإيمان، والدَّعوةُ إلى الله ورسوله.

والحالة السُّفلى: استحكمت فيها ظلماتُ الذُّنوب والهوى على القلوب؛ فصار العقل أسيرًا في أيدي الشَّهوات، والهوى أميرًا حاكمًا؛ غيرَ أنَّ القلب فيه رمقٌ من الحياة.

والحالة الوسطى: الحرب بين صاحبها وبين عدوِّه الذي يريد هلاكه سجالٌ، وهو على خطرٍ إن لم تمدَّه جيوش التَّوفيق.

والحالة الرَّابعة: ليلٌ قد اشتدَّ ظلامُه، واسودَّ قتامه؛ فهي موتٌ لا حياة معه، وعذابٌ لا راحةَ فيه، وكربٌ وغمٌّ لا فرج معه.

وقد بيَّن الله سبحانه في كتابه هذه المراتبَ الأربعة أحسنَ بيانٍ، وجلَّاها للمتأمِّلين.

بل القرآنُ عامَّته في بيان أهلِها وأعمالِهم ومراتبهم في الجزاء، وما يعاملهم به في الدُّنيا.

* **فأعلمُ النَّاس**: مَن عرف أهلَ هذه المراتبِ الأربعةِ وأعمالَهم ومراتبَهم، ونزَّل كلَّ مرتبةٍ في منزلها الذي أنزلها الله فيه.

* **وأعلى النَّاس همَّةً**: من سَمَتْ هِمَّتُه إلى أعلاها مرتبةً؛ فإن عجز عن ذلك، لم ينزل عن المرتبة الثَّانية، ناظرًا إلى الأولى، معترفًا بقصوره وتقصيره، طالبًا للوصول إليها ولو قبل موته بيسيرٍ.

* **وأعجز النَّاس**: من انحطَّ إلى المرتبة الثَّالثة.

* **وأشقى النَّاس**: أهلُ المرتبة الرَّابعة.

فصلٌ

وكما أنَّ كمال الجسم بالصِّحَّة والقوَّة والتَّمام والجمال ـ ومتى فات واحدٌ من هذه الأربع فات كماله ـ، فكمالُ النَّفس بـ: «**العلم**»، و«**الحلم**»، و«**العدل**»، و«**الشَّجاعة**»، و«**السَّخاء**»؛ **وسائرُ الصِّفات تبعٌ لهذه الصفات**:

ـ فالمروءة ومكارم الأخلاق والإحسان من صفة **السَّخاء**.

ـ والصَّبر والثَّبات والجهاد في الله وتنفيذ أوامره من صفة **الشَّجاعة**.

ـ والعفَّة والصِّيانة والنَّزاهة من صفة **العدل**.

ـ والوقار والتُّؤَدة والاحتمال والإعراض عن الجاهلين وعدمُ مكافأة المسيئينَ من صفة **الحلم**.

ـ والفقهُ في الدِّين والفهم عن الله ورسوله ومعرفةُ مراتب الخير والشَّرِّ من صفة **العلم**.

وأصل هذا كلِّه كمالُ صفة **الحياة** فيه؛ ومتى نقصت، نقص من كماله بحسبها، فحياة هؤلاء شيءٌ، وحياة الجاهلين شيءٌ، والله المستعان.

والعلومُ ثلاثةٌ: علمٌ أعلى، وعلمٌ أوسط، وعلمٌ أدنى.

* **فالعلم الأعلى:** العلمُ بالله وأسمائه وصفاته وشرعه ودينه.

* **والعلم الأوسطُ:** العلم بمصالح الدُّنيا التي لا تتمُّ إلَّا بها،

كالعلوم التي هي أصولٌ لحفظ الأبدان والبلاد والمساكن.

* **والعلم الأسفل:** كالعلوم التي لا تنفع في دينٍ، ولا يُحتاج إليها في الدُّنيا، كغالب علوم النَّاس وصناعاتهم.

فأعمالُ أهل العلم الأوَّل مناسِبةٌ لعلمهم، وأعمالُ أهل العلم الأوسط كذلك، وشرُّ الأعمال في الغالب أعمالُ أهل العلم الأدنى؛ ومن عرف أحوالَ الوجود، تبيَّن له ذلك، والله أعلم.

فصلٌ

نفسُ الإنسان وإن كانت ظالمةً فهي مظلومةٌ، وسُلِّط عليها أنواعُ الظَّالمين؛ فالشيطان يظلمها، والشَّهوات تظلمها، والهوى يظلمها، والجهل يظلمها، وحبيبها من النَّاس يظلمها، وزوجها يظلمها، وشريكها يظلمها؛ فهي ظالمةٌ مظلومةٌ باخسةٌ مبخوسةٌ حظَّها.

وإذا تَصوَّر ذو الهمَّة ذلك حقَّ تصوُّره، حملته همَّتُه ونَخْوتُه على طلب الانتصاف، وأنفت له أن يقيم على الضَّيم والظُّلم.

فإنْ طلبَ الانتصاف من النَّاس قبل الانتصاف من نفسه؛ لم يزدد إلَّا ضيمًا وظلمًا، فهو يستغيث ويشكو وقد سدَّ على نفسه طريقَ الانتصاف.

فالفطن اللَّبيب يطلب الانتصاف من نفسه أولًا؛ فإذا انتصف من نفسه هان عليه الانتصاف من الخلق، وهذا الانتصافُ عينُ[1] الإنصاف.

فالمقصود بهذا الفصل ألَّا يظلمَ نفسه؛ لا أن يعدل النَّاس فيه ويُنصفوه؛ فإنَّ هذا ممَّا لا سبيل إليه، ولا يحدِّث به نفسه إلَّا جاهلٌ بهم.

فأوَّلُ ذلك: أن تَنتصف من جهلك بالعلم؛ فإنَّ الجهل أعدى

(١) ويحتمل أن تقرأ: «غير»، والمثبت أشبه بالصواب، والله أعلم.

عدوٌّ لك، وقد رضيتَ بمصاحبته، وترك الانتصاف منه، وهو يعمل في مضرَّتك، ويسعى في هلاكك؛ فهل حدَّثت نفسك بالانتصاف منه، وإدالة العلم عليه حتَّى يصير أسيرًا في قبضتك بعد أن كنت أسيرًا في قبضته؟!

ثُمَّ بعد ذلك تنتصف مِن ظُلْمك بعَدْلك؛ فإنَّ **الظلم**: اسمٌ جامعٌ لخصال الشَّرِّ كلِّها من الشِّرك والبغيِ والعدوان والتَّوثُّب والتَّطفيف والاستئثار والخيانة وترك المكافأة على الإحسان ونحو ذلك، **والعدلُ**: اسمٌ جامعٌ لخلال المروءة وخصال الكرم والأفعال الجميلة، كما أنه: اسمٌ سالبٌ لجميع خلال الشَّرِّ؛ لازمِها ومتعدِّيها.

فكلُّ شيءٍ تقيم فيه العدلَ على نفسك، فأنت آمِنٌ فيه من المكروه وسوءِ العاقبة؛ وما أهملت فيه العدل على نفسك، فلا تأمن مكروهه وسوءَ عاقبته وإن تأخَّرت.

والعدلُ عدلان: عدلٌ ظاهرٌ، وعدلٌ باطن:

فالظَّاهرُ: الذي يجب على الحكَّام والولاة الحكم به؛ ويجب على الإنسان اعتمادُه في معاملته للنَّاس.

والباطنُ: هو الذي يُلزم الإنسانُ نفسَه به فيما بينه وبين خالقه من الإخلاص، وامتثالِ أوامره، واجتناب نواهيه، والاعتراف بنعمه، وإضافتها إليه وحده، وشكره عليها. ومَن استكمل العدل ظاهرًا وباطنًا استكمل الدِّين والمروءة والإنسانيَّة، والعدلُ كلُّه واجبٌ لكل أحدٍ، على كلِّ أحدٍ، في كلِّ حالٍ.

والعدلُ: هو الدِّين كلُّه؛ فإنَّ رأس الدِّينِ: التَّوحيدُ، وهو أعدل العدل؛ والشِّرك أظلمُ الظُّلم.

وواجباتُ الدِّين نوعانِ:

معاملة الخالق، ومبناها على الإخلاص والمتابعة، وذلك محض العدل.

ومعاملة المخلوق، ومبناها على الإنصاف والمساواة والوفاء وترك الخيانة والغش والمكر، وذلك حقيقةُ العدل.

ولا يمكنه أن ينتصف مِن ظلمه حتَّى ينتصف من هواه؛ فإنَّه أصل الظُّلم وأبوه؛ فلا يمكن صاحبَ هوًى أن يعدل في نفسه ولا في غيره إلَّا أن يكون قائمًا على هواه بالمجاهدة له ومخالفته. **وآلةُ ذلك وعُدَّتُه:** الصَّبر والحلم؛ فإنَّه لا يتمُّ له شيءٌ من كماله إلَّا بهما؛ ومن فقد الصَّبر والحلم، فقد الخير كلَّه.

والصَّبر صبرانِ: صبرٌ عمَّا تحبُّ؛ وصبرٌ على ما تكره.

وهما في الحقيقة واحدٌ؛ فإنَّ الصَّبر عمَّا تحبُّ هو الصَّبر على ما تَكره أو من لوازمه، وليس الصَّبرُ المحمودُ مجرَّدَ الشَّجاعة، ولا قوَّةَ النَّفس، ولا اللَّجاجةَ، ولا الجلَدَ على المصيبة، ولا التَّصميمَ على الشَّيء، ولا ترك الشَّكوى.

وإنَّما الصَّبر المحمود: أن تكون صابرًا على الحقِّ، غالبًا لهواك، مالكًا لشهوتك، ممسكًا لنفسك عند الطَّمع والفزع.

وأمَّا الحلم: فإنَّه خُلُقٌ مركَّبٌ من عدَّة أخلاقٍ؛ مَن جمعها، استحقَّ أن يسمَّى حليمًا؛ فالصَّبر أساسُه، والاحتمال مادَّتُه، والرِّفق حقيقتُه، والأناة والتُّؤَدَة مركبه، والعفو والصَّفح ثمرتُه، والوقار زينته، وهو قرينُ العلم وخدينه؛ فما قرن شيءٌ إلى شيءٍ أحسنُ من علمٍ إلى حلمٍ، وعفوٍ إلى قدرةٍ.

وفي الأثر: أنَّ حملة العرش أربعةٌ؛ اثنانِ يقولان: «سبحانك اللّهم وبحمدك، لك الحمد على حِلمك بعد علمك»، واثنان يقولان: «سبحانك اللّهم ربَّنا وبحمدك، لك الحمد على عَفوك بعد قدرتك»[(١)].

وأعظم النَّاس انتفاعًا ونفعًا بعلمه: الحليمُ.

وأقلُّ النَّاس نفعًا وانتفاعًا بعلمه من لا حلم له؛ فإنَّ الطَّيش والحدَّة والنَّزق والخرق والبادرة القبيحة والعنف هي أضدادُ الحلم، وهي آفةُ العلم المانعة من الانتفاع به، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾[(٢)]؛ وهذا غايةُ الحلم: أن يعفو عن جانيهم على حقِّه، ويستغفر لمسيئهم فيما بينه وبين الله، ويتألَّف قلوبهم بالمشاورة؛ ولا يفعلُ هذا إلَّا أحكمُ النَّاس وأرحمهم.

فأعظم ما انتصف الإنسانُ به مِن نفسه وخصمِه: الحلمُ، ولا يقوى عليه إلَّا بالشَّجاعة على نفسه.

---

(١) ذكره المصنف في مواضع من كتبه بهذا اللفظ؛ انظر: مدارج السالكين (١/ ٥٥) (٣/ ١٤٧)، الروح (ص٦٧٩)، بدائع الفوائد (١/ ١٤٠)، عدة الصابرين (ص٥٣٣)، وقد روي من قول بعض السلف بلفظ: «حملة العرش ثمانية... فأربعة منهم يقولون... وأربعة يقولون...»، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٣١٤)، وابن أبي شيبة في العرش (٢٤)، والطبري في تفسيره (١٧/ ٤٣٨) من قول شهر بن حوشب.
وأخرجه الدينوري في المجالسة (٢٤٤٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٤٨١)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٥٥)، والبيهقي في الشعب (٣٥٨) من قول هارون بن رئاب.
وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٧٤) من قول حسان بن عطية.

(٢) آل عمران: (١٥٩).

فليس الشُّجاع الذي يصرع الأقران ويقهر النُّفوس، إنَّما الشُّجاع الذي يملك نفسه عند دواعي الغضب ودواعي الشَّهوة؛ فإنَّ الشهوة والغضب سبُعانِ عاديانِ قد صرعا الأبطالَ، وقهرَا الشُّجعان، وأذلَّا الجبابرة؛ فبطلُ الأبطال وأوحدُ الشُّجعان من صرعهما فقهرهما وأذلهما، بحيث صارَا تحت قهره وحكمه؛ والجبان من هو تحت قهرهما وحكمهما.

وقد تبيَّن بهذا أنَّ العِفَّة والجود إنَّما ينشئان من الشَّجاعة، فيشجِّع نفسه حتَّى يعفَّ عن المآثم والمطامع، ويشجِّعها حتَّى يجود بالمحبوب من المال. قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية[1]؛ فالشَّجاعة ثباتُ القلب عند إخراج المحبوب وإنفاقه؛ فإنَّ النَّفس تجزع لذلك، كما تجزع لورود المكروه، فهُما أمرانِ تجزع لهما النُّفوس غايةَ الجزع.

فالشَّجاعة: ثباتُ القلب عند ورود هذا، ومفارقة هذا.

ومن أدقِّ أنواع الشَّجاعة: ثباتُ القلب عند هجوم المحبوب عليه، فكثيرٌ من الشُّجعان يثبت لورود المكروه، ولا يثبت لهجوم المحبوب؛ بل منهم من يعتريه شبه الجنون والاختلاط والدَّهشة؛ ومنهم من يموت فجأةً، كما ذُكر أنَّ أمير مصر أحمد ابن طولونَ خرج يتصيَّد في يوم غيم وبردٍ، فرأى صيَّادًا عنده ابنُه وهو قد حنى عليه من البرد فأدركته لهما رحمةٌ فنثر في حجر الرَّجل كيسًا، فيه ذهبٌ؛ ثُمَّ ذهب عنه، فلمَّا عاين الرَّجل ذلك الذَّهب في حجره، غلب عليه الفرح، فمات في الحال، فبلغ ذلك الأميرَ، فقال: نحن قتلناه؛ فإنَّه جاءه الغنى وهلةً

---

(١) البقرة: (٢٦٥).

واحدةً بعد طول فقره؛ ولو جاءه بالتَّدريج ـ شيئًا فشيئًا ـ لم يصبه هذا.

والمقصود: أنَّ الشُّجاع: مَن قوي على انتصافه من نفسه وأخلاقه الدَّنيَّة بأضدادها؛ ومن لم ينتصف من نفسه، فكيف يطلب الانتصاف من عدوِّه الخارجِ عنه؟!

وهذا هو حقيقةُ المروءة؛ فإنَّها خُلُقٌ مستجمِعٌ من الإنصاف والعدل والشَّجاعة والصَّبر والحلم والجود.

وأساسُها وقاعدتها: حملُ ثقلك عن النَّاس؛ فلا تحمل أحدًا ثقلك ما أمكنك؛

وكمالها: حملُ أثقال النَّاس؛ فاحمل أثقالهم، ولا تحملهم ثقلك.

وعدم المروءة: أن تحملهم ثقلك، ولا تحمل أثقالهم.

والحالة المتوسِّطة: أن تحمل عنهم، وتحملهم؛ فيكون تعاوضًا بالعدل.

وجماعُ المروءة:

* أن ترفع نفسَك عن كلِّ خُلُقٍ دنيءٍ، وفعلٍ قبيحٍ، وزيٍّ شنيعٍ؛
* وأن تعامل النَّاس بما تحبُّ أن يعاملوك به؛
* وأن تحرص على إيصال المنافع إليهم في دينهم ودنياهم، وفي دفع المضارِّ عنهم في دينهم ودنياهم؛ وذلك غاية الفتوَّة والمروءة، وبالله المستعان.

مسألة

هل الحدود كفارات لأهلها؟
ومن خرج حاجًّا ثم مات في الطريق
هل يسقط فرضه؟

مسألة

• **ما تقول السادة العلماء أئمة الدين في الإنسان إذا بدا منه ذنبٌ مثل: شربٍ، أو زنا، أو قتلٍ، واقتص منه في الدنيا؛ فهل يبقى عليه شيء في الآخرة؟ وإذا خرج الإنسان إلى الحج فمات في الطريق؛ فهل يسقط فرضه أم لا؟**

الجواب

* **أما حقوق الله تعالى** كالحدود فإن العبد إذا سَلَّم نفسه للإمام ليقيم عليه الحدَّ؛ كان الحدُّ طهره وتوبته وتسقط عنه عقوبة الذنب في الآخرة؛ لأن النبي ﷺ قال لماعز: «**لقد تاب توبة لو تابها صاحب مكس غفر له**»[(١)]، وقال في المرأة الغامدية لما سلَّمت نفسها لإقامة الحدِّ: «**لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم**»[(٢)]، فمثل هذا تسقط عنه عقوبة الآخرة.

وأما من أُخذَ قَهْرًا وأقيم عليه الحدُّ وهو مُصرٌّ على الذنب عازمٌ على معاودته؛ فهذا لا يلزم أن يكون الحد كفارة له ولا طهرًا، وإنما هو عقوبة جعلت له في الدنيا وأمره يوم القيامة إلى الله تعالى، فإن

(١) أخرجه مسلم (١٧٤٠) من حديث بريدة.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٤١) من حديث عمران بن حصين.

الحدود مع الإصرار لا توجب[(١)] التكفير المطلق وإن خففت بعض العقوبة، وقوله ﷺ: «**من أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به فهو كفارة له**»[(٢)] لم يرد به أنه كفارة لإصراره، بل يكون كفارة لذلك الذنب الذي أخذ بعينه، وأما غيره إذا لم يتب منه فإن الحدَّ لا يكون كفارة له.

وأما حقوق الآدميين كالقتل العمد[(٣)]؛ فإن فيه ثلاثة حقوق: **حق** لله، **وحق** للمقتول، **وحق** لورثته.

فحق الله يسقط بالتوبة[(٤)].

وحق الورثة يزول بالقصاص، أو أخذ الدية، أو بالعفو.

وحق المقتول لا يزول بعفو الورثة ولا بأخذ الدية ولا بالقصاص.

فهذا النوع فيه خلاف بين الفقهاء، **فقالت طائفة**: «لا يسقط؛ لأنه ظلم ولم يستدرك ظلامته»، **وقالت طائفة**: «تسقط؛ لأنه قتل كما قتل».

والصحيح: أنه لا يسقط، **فإما** أن يعوضه الله من عنده، **وإما** أن يأخذ حقه من قاتله. **وكذلك** اختلافهم في الرجل يموت وله دين يستحقه الوارث فلا يصل إليه هو ولا وارثه؛ فهل تكون المطالبة به يوم القيامة للوارث أو للموروث؟ على قولين.

* وأما الذي يخرج إلى الحج ويموت في الطريق؛ فإنه يُستأجر

---

(١) في الأصل بالياء: «يوجب».

(٢) أخرجه البخاري (١٨)، ومسلم (١٧٥٥) من حديث عبادة بن الصامت.

(٣) انظر: «**مدارج السالكين**» (١/٦٠٩).

(٤) بعدها في الأصل: «إلا أن يعفو»، ويشبه أن يكون قد ضرب عليها. ويؤيده قوله في «**مدارج السالكين**»: (فحق الله لا يزول إلا بالتوبة، وحق الوارث... إلخ).

عنه من تركته من يكمل له الحج، فإن فرَّط الوارث ولم يستأجر بقي إثمه عليه، ولا يأثم الميت؛ لأنه لم يفرِّط بفوات الحج، ولا سيما إن كان بادر إليه على الفور، فإن أجره على حسب نيته، وفي «**الصحيح**» أن رجلًا وقف مع النبي ﷺ [٣٤/و] بعرفة، فوقع عن بعيره فاندقت عنه فمات، فقال النبي ﷺ: «**اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبيه فإنه يبعث يوم القيامة ملبيا**»(١)، فأخبر أن عمله لم ينقطع بموته وأنه يبعث على [ما](٢) مات عليه. وحكمه حكم من كان عاجزًا عن الحج، ومن نيته أن يحج إذا قدر ومات قبل القدرة؛ فإنه يبعث على نيته ويثاب عليها، ولكن ثواب من أتى بالحج أكمل، والله أعلم.

كتبه: محمد بن أبي بكر الحنبلي.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٧٦)، ومسلم (١٢٢٥) من حديث ابن عباس.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

مسألة

في كرامات الأولياء
هل هي ثابتة بالشرع أم لا؟

مسألة

• **في كرامات الأولياء، هل هي ثابتة في الشرع أم لا؟ وهل شهر منها شيء أم لا؟ وما يذكر عن إبراهيم بن أدهم أنه رمى إبرته في البحر، ثم دعا الله وطلبها من السمك، فأطلعت سمكة إليه رأسها، فإذا الإبرة في فمها؛ فهل ذلك صحيح أم لا؟**

الجواب

نعم، كرامات الأولياء ثابتة بالكتاب والسنة، وإجماعُ أهل السنة منعقد على ذلك.

أما القرآن؛ فقصة مريم في سورة آل عمران **حيث قال تعالى**: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ الآية[(١)]، وكذلك قصتها في سورتها، قال غير واحد من السلف[(٢)]: كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف؛ فعلم أن الذي قدر على الإتيان بالثمر في غير وقته قادر على أن يأتي بالولد بعد فوات وقته. ومريم من الأولياء لا من الأنبياء؛ فإن الله تعالى لم يرسل رسولًا من النساء، **قال تعالى**: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحِي[(٣)]

---

(١) آل عمران: (٣٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥/٣٥٣ ـ ٣٥٧).

(٣) كذا في الأصل بالياء، وهي قراءة الجمهور، وقرأها حفص بالنون: ﴿نُّوحِىٓ﴾. =

إِلَيۡهِمۡ﴾[١].

وكذلك قصة أهل الكهف ولبثهم تلك المدة الطويلة ولم تبل الأرض جسومهم؛ هو من كراماتهم. وقصة الخضر مع موسى.

وأما السنة؛ فكثير جدًّا، **مثل:** قصة أسيد بن حضير وعباد بن بشر خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين يضيء لكل واحد منهما بين أيديهما، فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد [٣٥/ظ] حتى أتى أهله[٢]. وهذا في السنة كثير.

وقد تواترت كرامات الأولياء في وقائع لا يحصيها إلا الله، ولكن تشبَّه بهم نوعان من الناس:

أحدهما: أتوا بمخاريق وخزعبلات أوهموا الجهال أنها كرامات وهي حيل.

الثاني: أصحاب أحوال شيطانية خدموا الشياطين فخدمتهم الشياطين، وطاروا بهم في الهواء، ومشوا بهم على الماء؛ فظنوا أنهم أولياء الله، وإنما هم أولياء الشياطين.

وقد كان منهم على عهد رسول الله ﷺ ابن صياد ومسيلمة الكذاب والأسود العنسي، وهم موجودون[٣] في كل زمان.

* وأما من يأخذ في يده حجرًا فيصير ذهبًا أو فضةً أو جوهرًا؛

= انظر: «النشر» (٢/ ٢٩٦).

(١) يوسف: (١٠٩)، النحل: (٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٩٣) من حديث أنس بن مالك.

(٣) في الأصل: «موجود».

فكذب مفترًى، والله تعالى على كل شيء قدير، ولكن لم يقع مثل ذلك في كرامات الأولياء.

* وأما قصة إبراهيم؛ فهو أجلُّ من ذلك، وكراماته أعلى من هذا، وهذه الحكاية كذبٌ.

وأما قول الجهال: «إن الله لا يخرق عادة»؛ فهو كذبٌ على الله، فإنه سبحانه يخرق العوائد لأنبيائه ورسله ولمن شاء من أوليائه، والقرآن مملوءٌ من خرق العوائد؛ كانشقاق القمر، وفلق البحر، وقلب العصا حية، وسائر ما ذكره سبحانه من معجزات الأنبياء فإنها خرق عوائد، وولادةٌ من غير أبٍ خرق عادةٍ، ونوم أصحاب الكهف خرق عادةٍ، إلى غير ذلك، والله أعلم.

قاله: محمد بن أبي بكر الحنبلي.

مسائل متفرقة

مسألة: في قضاء الوتر.

مسألة: في أنبياء بني إسرائيل صلى الله عليهم وسلم من بعد موسى؛ هل يأتون يوم القيامة مع موسى ﷺ، أو يأتي كل منهم بأمة وحده؟

مسألة: في رجل يُسرِّح لحيته في كل يوم في أوقات الصلوات وغيرها، ويكثر من التسرح؛ فهل يجوز له ذلك أم لا؟

مسألة: في رجل به وجع ووصف له شحم خنزير وغيره من النجاسات؛ فهل يجوز له فعل ذلك أم لا؟

مسألة

• **من نام عن وتره صلاه ما بين طلوع الفجر وصلاة الصبح، كما كان عبد الله بن عمر يفعله، وقد روى أبو داود في سننه من حديث أبي سعيد الخدري، قال رسول الله ﷺ: «من نام عن وتره أو نسيه؛ فليصله إذا أصبح أو ذكر»[(١)].**

واختلفت الرواية عن الإمام أحمد هل يقضي معه شفعه؟

* **والصحيح:** أنه يقضيه مع شفعه، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من نام عن صلاة أو نسيها...**» الحديث[(٢)]، وهذا يعم صلاة الفرض وقيام الليل والوتر والسنن الراتبة، قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا منعه من قيام الليل نوم أو وجع صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة[(٣)]. رواه مسلم، وروى عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ أنه قال: «**من نام عن حزبه من الليل أو عن شيء منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر؛ كتب له كأنما قرأه من الليل**»[(٤)] رواه مسلم.

وهكذا السنن الراتبة إذا فاتته، وقد صح عن النبي ﷺ أنه لما نام هو وأصحابه عن الصبح في السفر؛ صلى سنة الصبح ركعتين، ثم صلى

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٣١).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم (٧٤٦/٤) من حديث عائشة.

(٤) أخرجه مسلم (٧٤٨).

بعدها الصبح بعد طلوع الشمس[(١)]. ولما فاتته سنة الظهر بعدها؛ صلاها بعد العصر[(٢)]. وقالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا لم يصل أربعًا قبل الظهر صلاهنَّ بعدها[(٣)]. رواه الترمذي، وروى أبو هريرة عنه ﷺ أنه قال: «**من لم يصلِّ ركعتي الفجر فليصلها بعدما تطلع**»[(٤)] رواه الترمذي، وصححه ابن خزيمة.

* **وفيه قول آخر**: أن الوتر لا يقضى، وهو رواية عن أحمد؛ لما روي عنه ﷺ قال: «**إذا طلع الفجر فقد ذهبت صلاة الليل والوتر**»[(٥)] **قالوا**: فإن المقصود بالوتر أن يكون آخر عمل الليل كما أن آخر عمل النهار المغرب. **قالوا**: ولهذا كان النبي ﷺ إذا فاته عمل الليل صلى ثنتي عشرة ركعة، ولو كان فيهنَّ الوتر لصلى ثلاث عشرة ركعة.

والصحيح: أن الوتر يقضى قبل صلاة الصبح، فإذا صُلِّيت الفجر لم يبقَ في قضائه الفائدة التي شرع لها، والله سبحانه أعلم.

أجاب: محمد بن أبي بكر الحنبلي.

---

(١) أخرجه مسلم (٦٧٦) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٤٢)، ومسلم (٨٣٥) من حديث أم سلمة.

(٣) أخرجه الترمذي (٤٢٨)، وقال: «حسن غريب».

(٤) أخرجه الترمذي (٤٢٥)، وابن خزيمة (١١٨٢)، وقال الترمذي: «حديث غريب».

(٥) أخرجه الترمذي (٤٧٣) من حديث ابن عمر.

مسألة

• **في أنبياء بني إسرائيل صلى الله عليهم وسلم من بعد موسى؛ هل يأتون يوم القيامة مع موسى ﷺ، أو يأتي كل منهم بأمة وحده؟**

الجواب

أما أرباب الشرائع المستقلة؛ فكل نبي يأتي مع أمته يشهد[١] لهم وعليهم، وأما الأنبياء الذين هم تبع لموسى ـ كأنبياء بني إسرائيل ـ؛ فهم وأصحابهم يأتون مع موسى؛ لأنهم من أمته، وشريعته تجمعهم. وكل أمة تجمعهم شريعة واحدة ورسول واحد؛ فإنهم يأتون مع رسولهم يشهد لهم وعليهم، كما قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾[٢]، وفي «**الصحيح**» عنه أنه قال ﷺ: «**عُرضت عليَّ الأنبياء وأممهم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجلان، والنبي ومعه الرجل، والنبي وليس معه أحد**»[٣]، والله أعلم.

كتبه: محمد بن أبي بكر الحنبلي.

---

(١) في الأصل: «شهد»، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) النساء: (٤١).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٥٢)، ومسلم (٢١٠) من حديث ابن عباس.

مسألة

• في رجل يُسرِّح لحيته في كل يوم في أوقات الصلوات وغيرها ويكثر من التسرح؛ فهل يجوز له ذلك أم لا؟

الجواب

الحمد لله، نهى رسول الله ﷺ عن الترجُّل إلا غِبًّا[1]. و«**الترجل**»: التسريح، و«**الغب**»: فعله وقتًا بعد وقت. فيكره للرجل أن يتابع فعله دائمًا، بل يغبُّ به كما قال ﷺ.

جواب: محمد بن أبي بكر الحنبلي.

(١) أخرجه أبو داود (٤١٥٩)، والترمذي (١٨٦٤)، والنسائي (٥٠٩٩)، وأحمد (١٦٧٩٣) من حديث عبد الله بن مغفل.

مسألة

في رجل به وجعٌ، ووُصِفَ له شحم خنزيرٍ وغيره من النجاسات؛ فهل يجوز له فعل ذلك أم لا؟

الجواب

لا يجوز له فعل شيء، والله أعلم.

كتبه: سليمان بن عبد الحليم المالكي[١].

جواب آخر

نعم، يجوز له التداوي بذلك بطريقه، لكن يجب عليه التحرز في استعماله، ومهما أصابه من ثوبه أو بدنه يجب غسله سبعًا والتعفير بالتراب إذا كانت النجاسة شحم خنزيرٍ، والله أعلم.

كتبه: محمد بن علي الشافعي[٢].

---

(١) هو: صدر الدين، سليمان بن عبد الحليم بن عبد الحليم الباردي المالكي الأشعري، مولده سنة (٦٧٣هـ)، درَّس في المدرسة الشرابيشيَّة بدمشق، كان فقيهًا في مذهب مالك، والتقط الناس من فتاويه، توفي في طاعون دمشق سنة (٧٤٩هـ). انظر: أعيان العصر (١/ ٣٥٤)، الدرر الكامنة (٢/ ٢٩٤).

(٢) هو: كمال الدين، محمد بن علي بن عبد الواحد بن عبد الكريم الأنصاري، المشهور بـ «ابن الزملكاني»، كبير الشافعية في عصره، وقاضي قضاتهم، كان ذكي الفطرة، نافذ الذهن، فصيح العبارة، يضرب بذكائه المثل، أفتى =

جواب آخر

إن علم أن فيه شفاءه فلا بأس بذلك، وإن[1] لم يعلم فيجوز مع الكراهة، والله أعلم.

كتبه: محمود بن أحمد الحنفي[2].

جواب آخر

لا يجوز له التداوي بشحم الخنزير، والله أعلم.

كتبه: محمد بن أبي بكر الحنبلي.

= وله نيف وعشرون سنة، وتخرج عليه غالب علماء عصره، توفي سنة (٧٢٧هـ). **انظر**: فوات الوفيات (٤/ ٧)، طبقات الشافعية الكبرى (٩/ ١٩٠)، الدرر الكامنة (٥/ ٣٢٨).

(١) في الأصل بلا واو: «إنْ».

(٢) **هو**: جمال الدين أبو الثناء محمود بن أحمد بن مسعود القونوي الحنفي، المعروف بـ «ابن السراج»، ولي قضاء الحنفية، وكان رأسًا في المذهب، وله فتاوى ومصنفات، وتوفي: (٧٧٠هـ). انظر: الجواهر المضية (٢/ ١٥٦)، تاج التراجم (ص٢٨٩).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

القسم الأول

القسم الثاني

المـفـكـرة

المفكرة

المفكرة

المفكرة